أثر الإسلام في بناء الإنسان

حقوق الطبع محفوظة

-الطبعة الأولى-

١٤٤١هـ-٢٠١٩م

الأردنّ - عمّان - المقابلين - شارع الحريّة - مبنى ٤٩

هاتف: ٠٠٩٦٢-٦-٤٢٠٠٣٠٥

٠٠٩٦٢-٧٩-٢٨٠٤٣٤٩

Email : info@alalbany.org

FaceBook : /alalbany.org

Twitter : @alalbanycenter

رقم الحساب البنكي:

(١٥٠٨١٦٢/٤١٠/٤٠٠/٠٠١)

البنك الإسلامي الأردني - فرع شارع الحرية

IBAN :

Jo94iiba1230000001230002340500

أثر الإسلام في بناء الإنسان

ندوة علمية عُقدت في

«جمعية مركز الإمام الألباني للدراسات والأبحاث»

بتاريخ ٩/ذو القعدة/١٤٤٠هـ الموافق ١٢/٧/٢٠١٩م

إعداد أصحاب الفضيلة

الشيخ عبد الرحمن بن مُحمّد آل نصر الشيخ محمّد بن يوسف خَشّان

الشيخ د. حمزة بن ماجد المجالي الشيخ د. عبد الباسط بن يوسف الغريب

أدارها فضيلة الشيخ محمّد بن فيصل قاسم

تعقيب وتعليق صاحب الفضيلة الشيخ

مشهور بن حسن آل سلمان

حفظه الله ورعاه

افتتاحية الندوة

فضيلة الشيخ محمد بن فيصل قاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كلّه وكفىٰ بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبْدُهُ ورسولُهُ -صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا مزيدًا-، وبعدُ:

فحيَّاكُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- جَمِيعًا، وأهلًا وسهلًا ومرحبًا بكم في مركزِ الإمام الألباني -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في حضور انعقاد ندوة الدورة العلميَّة الحادية والعشرين في ٩ / ذو القَعدة / ١٤٤٠هـ من يوم الجمعة، الموافقِ لِـ ١٢ / تموز / ٢٠١٩م.

إنَّ هذه الندوةَ العلميَّةَ الطَّيِّبَةَ لَتزدانُ حُسنًا وجمالًا، وضياءً وبهاءً باستضافَتِهَا كوكبةً من طلَّاب العلم الذين حَرَصُوا علىٰ الدعوةِ إلىٰ الله -تعالىٰ- بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لِيُشَنِّفُوا الآذَانَ، ويوقظوا الوسنان، ويُعلموا الحاضِرَ والبَادِيَ والقَاصِيَ والدَّانِ بِـ **(أثر الإسلام في بناءِ الإنسان)**.

أيُّها الأحبَّةُ الأكارمُ:

إنَّ الإسلامَ دينُ اللهِ -تبارك وتعالىٰ- إلَـهِ الأوَّلينَ والآخِرين، وصِرَاطُهُ المستقِيمُ، وذِروةُ سَنَامِ الأمر، والنعمةُ المهداةُ وَالرَّحمةُ المسداةُ لِخَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ، جَعَلَهُ المولىٰ -سبحانَهُ- خَاتَمَ الأَدْيَانِ، وَرَحْمَةً لِلْعَالمينَ، وضِياءً للبشريَّةِ، يُخْرِجُهُمْ بِهِ من غَيَابَاتِ الكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، والظُّلْمِ والجَهْلِ، إلىٰ

مَرْفَأِ الإيمانِ والهدايةِ، وَمَوْئِلِ العَدْلِ وَالعِلْمِ، يمنحُ أهلَهُ الحياةَ الطيّبَةَ والطُّمأنينَةَ والرَّاحَةَ، ويكسُوهُمُ السَّعَادَةَ وَالسُّؤْدُدَ وَالسَّنَاءَ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ.

جَعَلَهُ الحقُّ -سبحانهُ- وَسَطًا يُوَائِمُ الفِطْرَةَ التي فَطَرَ الخَلْقَ عَلَيْهَا، فَلَا جَفَاءَ فِيهِ وَلَا غُلَوَاءَ، وَإِنَّ «**أحبَّ الدينِ إِلَىٰ اللهِ الحنيفيَّةُ السَّمْحَةُ**».

اصْطَفَاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ جَدُّهُ، وَجَلَّتْ حِكْمَتُهُ- لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ -صلواتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عليهِ- ليبلّغَهُ للعالمين؛ وَيَبْنِيَ منهم أناسيَّ تحيا بِتِرْيَاقِ الإسلامِ.

فلقد أظلَّ زمانٌ أُمَّةَ العربِ فيه تعيشُ في جاهليَّةٍ جهلاءَ، يَدُوكُونَ حياتَهُمْ في شقاءٍ شديدٍ وبلاءٍ شديدٍ، يمصُّونَ الجلدَ والنَّوىٰ من الجُوعِ، وَيَلْبَسُونَ الشَّعرَ والوَبَرَ، ويعبدون الشَّجرَ والحجرَ -كما وصفهم المغيرةُ بنُ شعبةَ رضي الله عنه، وَيَأْكُلُ القويُّ منهم الضَّعيفَ، ويسيئون الجوارَ، ويقطعون الأرحامَ، فَجَاءَ بِالإسلامِ؛ فَصَقَلَ هَذَا الدّينُ الشَّخصيَّةَ والكِيانَ بمكارمِ الأخلاقِ وأطيبِ الشَّمَائِلِ، وَهَذَّبَ النَّفْسَ وَحَمَاهَا من أَسْقَامِ الشَّهَوَاتِ والشُّبُهَاتِ، وَأَعْلَىٰ الرُّوحَ بِتَعَالِيمِهِ السَّامِيَةِ؛ حتَّىٰ تَحَقَّقَ لِنَبِيِّنَا ﷺ المرادُ، ونَجَحَ في دعوتِهِ، وأقامَ حَضَارَةً لَا نَظِيرَ لَهَا فِي كُلِّ الدُّنَا، وَابْتَنَىٰ جِيلًا ليسَ كَمِثْلِهِ جِيلٌ، رَوَّتْ رسالَتُهُ القلبَ الظَّامِي، كما روَىٰ الغيثُ غليلَ الضَّاحِي؛ فَجَعَلَهُمُ اللهُ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ -كما قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه، فَكَانَتْ:

لَهُمُ المهَابَةُ وَالجَلَالَةُ وَالنُّهَىٰ وَفَضَائِلٌ جَلَّتْ عَنِ الإِحْصَاءِ

أَجَاءَهُمُ الإِسْلَامُ لِيَرْفُلُوا فِي ذِكْرِ أَعْظَمِ نِعْمَةٍ بَعْدَ أَنْ ذَاقُوا حَلَاوَتَهَا، كما روىٰ مسلمٌ في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: «خرج معاويةُ رضي الله عنه علىٰ حلقةٍ في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آللهِ ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلِفْكُم تُهَمَةً لكم، وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- أقلَّ عنه حديثًا منّي: إنَّ رسولَ الله ﷺ خَرَجَ علىٰ حلقةٍ من أصحابِهِ، فقال: «**ما أجلسكم؟**»، قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمدُهُ علىٰ ما هدانا للإسلامِ، ومنَّ به علينا، قال: «**آللهِ ما أجلسكم إلا ذاك؟**»، قالوا: ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «**أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم، ولكنَّهُ أتاني جِبريلُ، فأخبرني أنَّ اللهَ يُباهي بكمُ الملائكةَ**».

أيُّها المباركونَ:

إنَّ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ أحوجُ ما تكونُ لمثلِ هذه المجالسِ التي تَغْشَاهَا الرَّحمةُ، وَتَذْكُرُ شَأْنَ هَذَا الدِّينِ العَظِيمِ وَأَثَرَهُ فِي النَّاسِ؛ لمعالَجَةِ قضاياها وتحقيقِ مصالِحِهَا الدُّنْيَوِيَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ، رَاجِينَ من ربِّنَا -جَلَّتْ عَظَمَتُهُ- أنْ يُباهِيَ بِنَا ملائكتَهُ في هذه السَّاعةِ.

وَأَتْرُكُ الكَلِمَةَ الآنَ للشيخ **عبدالرحمنِ بنِ محمَّد موسىٰ نصر** -حفظه الله تعالىٰ- لِيُحَدِّثَنَا عن (**رحمةِ اللهِ لِعِبَادِهِ بِالدِّينِ الحَقِّ**)، فلْيتفضَّلْ مَشْكُورًا.

المحور الأول
رحمة الله لعباده بالدين الحق

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد آل نصر
-حفظه الله-

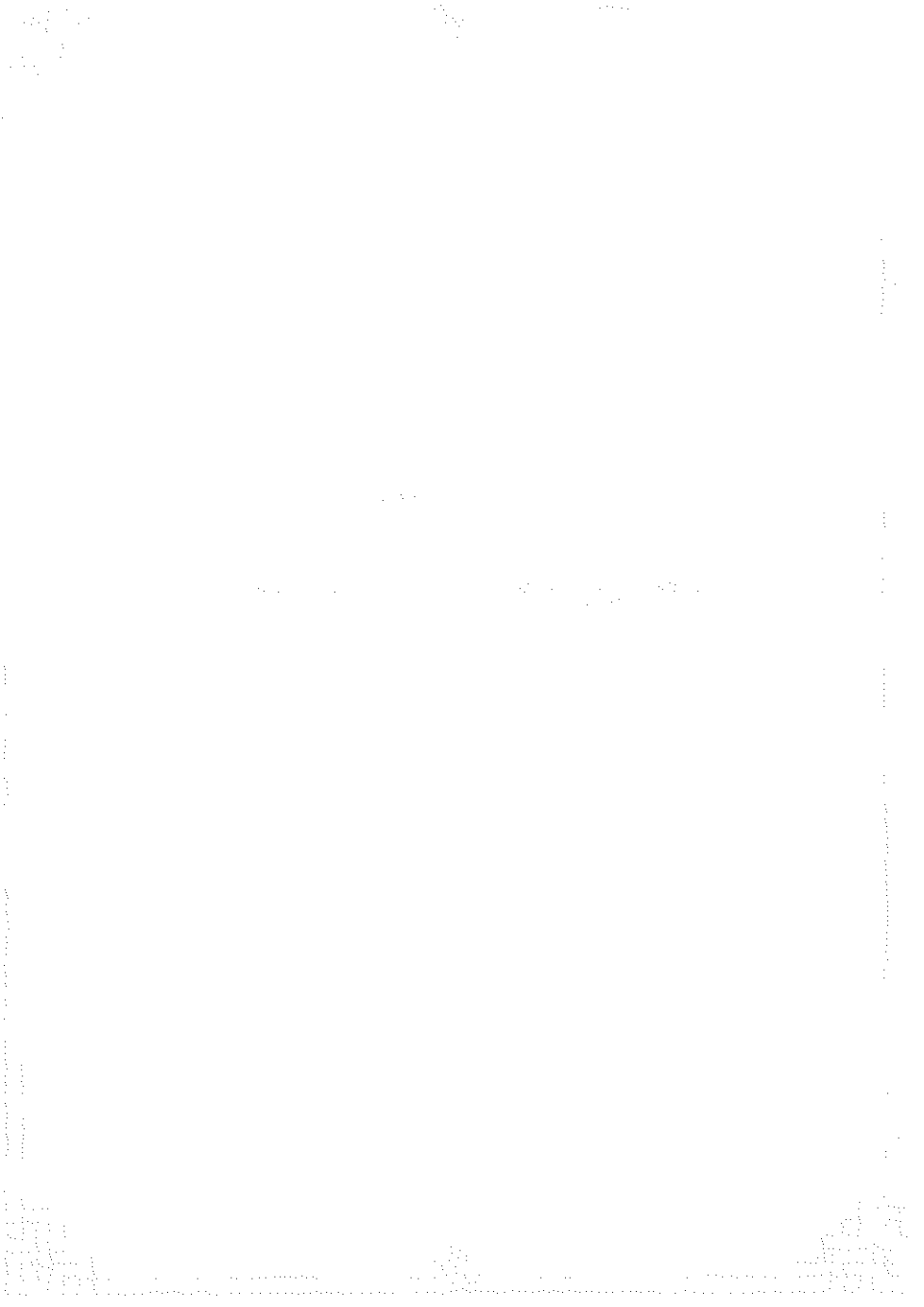

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علىٰ إمام الموحدين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد خلق الله خلقه وأمدّهم بما يحتاجون في أمر معاشهم وهداهم إلىٰ مصالحهم، قال الله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى . ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى:١-٣]، وقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠]، وضمن لهم الرزق؛ فقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود:٦].

وإذا كان الله قد كفل لجميع خلقه هدايتهم الهداية الدنيوية وضمن لهم الرزق الدنيوي؛ فإنه يُنَزِّهُ تبارك وتعالىٰ عن أن يترك النوع الإنساني -الذي شرفه أيما تشريف، وفضّله علىٰ كثير ممن خلق تفضيلًا، وكرّمه بما كرمه به، وخصه بالهم والحرث والتفكر والتأمل- ينزه عن أن يتركه هملًا لا يأمره ولا ينهاه ولا يبين له ما يكون به تقواه، ولا يرشده إلىٰ ما يكون به صلاح معاده ونجاتُه في الدار التي خلقه لأجلها، «وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا؛ فإن الله يجود به علىٰ عباده جودًا عامًا ميسرًا»[1].

يقول الله تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة:٣٦]، قال مجاهد: أي: لا يُؤمر، ولا يُنهىٰ.

---

(١) «الجواب الصحيح» (٥/ ٤٣٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

ويقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[التوبة:١١٥].

ويقول: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[يونس:٢٥].

وآثار رحمته الدينية بعباده كثيرة، أذكر منها خمسة آثار هي من الأصول الكبار، وقد حرصت علىٰ ذكرها مرتبة مترقية إلىٰ المقصود:

الأثر الأول: أن جعل الله التدين والتعبد فطرة فيهم؛ فإنّ كونهم مخلوقين يقتضي ضعفهم، والضعف يقتضي الشعور بالحاجة الدائمة وفقر الذات، والفقر الذاتي يستلزم التعلق الدائم والخضوع التام لمعبود؛ فالإنسان متدين بفطرته، وليس يعرف في التاريخ كما قرره مؤرخو الأديان مدينة لم يكن فيها معبد، أو لا يمارس أهلها العبادة.

وقد ابتلىٰ الله بني الإنسان بتلك الفطرة المتدينة وحمّلهم أمانة الاختيار، وعنها انقسم الناس فريقين: من أفرد الله بالتعلق وكمال المحبة والتعظيم، ومن تذلل لغير الله؛ فكان عبدًا لكل عبد، ذليلًا لكل ذليل؛ علىٰ ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

كما جعل تعالىٰ حب الكمال فطرة فيهم، ولا أكمل من الله، ولا أكبر منه ولا أجلّ؛ فكيف لا تتعلق به النفوس محبة له وتعظيمًا وخضوعًا.

وجعل تعالىٰ حب المحسن فطرة فيهم، وما من إحسان في الوجود إلا من الله؛ هو أصل الإحسان وهو المنعم حقًا، وهو مُلهم المحسنين ومعينهم

وهاديهم إلىٰ ذلك؛ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[النحل:٥٣]؛ فكيف لا تتعلق به النفوس ولا تتوق لحسن العبودية له والأنس بمناجاته.

الأثر الثاني من آثار رحمة الله الدينية بعباده: أن جعل فطرتهم مقتضية للإسلام، بمعنىٰ أن الله خلق عباده علىٰ هيئة موجبة لدين الإسلام معرفتِه ومحبتِه؛ ففطرتهم مستلزمة للإقرار بالخالق ومحبته وإخلاص الدين له، وهذه المقتضيات تحصل شيئًا فشيئًا حتىٰ تتم إذا سلمت ممن يفسدها كالأبوين ونحوهما.

قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[الروم:٣٠] الْآيَة [(١)].

ولئن تعامىٰ بعض البشر عن هذه الحقيقة حقيقة الفطرة وجحدوا بها ظلمًا وعلوًا؛ فإن موجباتها تستولي عليهم ولا يمكنهم دفعها إذا ألّمت بالواحد منهم ملّمة واستحكمت حلقاتها؛ ويظهر عليهم من معاني الالتجاء التام للأحد الصمد -الذي يقدر ولا يقدر الناس، ويعلم ولا يعلم الناس، ويملك ولا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم(٢٦٥٨).

يملك الناس- ما يشهد بحقيقة الإيمان.

الأثر الثالث: أن أرسل الله إليهم الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل عليهم الكتب إعذرًا منه لعباده، ولم يكتف بما ركز فيهم من الفطرة، وما آخذ أحدًا منهم إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه.

قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ**»(١).

وآتىٰ اللهُ رسلَه من الآيات ما يقتضي اليقين بنبوتهم وصدقهم: قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

فمن مقاصد بعثتهم -عليهم صلوات الله وسلامه-: ردّ من انحرفت فطرته بسبب اجتيال الشياطين إلىٰ جادتها، وتبليغ رسالات الله وتفصيل الشرائع، وبهم تقوم علىٰ العباد حجة الله.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (٢٣٩)(١٥٢).

الأثر الرابع: أن الله أقام أعلامًا علىٰ الدين الصحيح الذي رضيه للناس منهاجًا؛ أخص هذه الأوصاف: أنه ما يحقق التوحيد لله والعبودية له؛ فلا يكون الدين حقًا ما لم يحقق غايةَ الوجود: توحيدَ الله، ولا يكون تدين المتدين قويمًا ما لم يكن دأبه وهجِّيراه في سيره إلىٰ الله: تحقيق العبودية لله، وهذان المعنيان هما المعنيان اللذان لا يعزبان عن أي عبادة شرعها الله قولية كانت أم قلبية أم بدنية أم مالية.

وليس ثم علىٰ وجه الأرض دين جامع لذلك إلا الإسلام، قال الله تعالىٰ في أتباع الديانتين المنسوبتين للسماء: ﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣١]؛ فكيف بغيرهما؟!

وهذا الدين دين التوحيد هو الأصل في الديانات الإنسانية خلافًا للمتخرصين من الملاحدة الزاعمين بأن الأصل في البشر هو عدم الإيمان أو الوثنية.

وبهذا تعلم أن الدعوة إلىٰ الإسلام نداءُ رحمةٍ للخلق ودعاءٌ إلىٰ تصحيح مسار الدين الذي أنزله الله إليهم وحرَّفه مَن حرفه مِن البشر بغيًا وعَدْوًا: قال تعالىٰ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة:٢١٣]، و في الحديث القدسي -من حديث عِيَاضِ المُجَاشِعِيِّ-: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُم، وَإِنَّهُم أَتَتهُمُ

الشَّيَاطِينُ فَاجتَالَتهُم عَن دِينِهِم وَحَرَّمَت عَلَيهِم مَا أَحلَلتُ لَهُم، وَأَمَرَتهُم أَن يُشرِكُوا بِي مَا لَم أُنزِّل بِهِ سُلطَانًا»[1].

وبهذا الدين دين التوحيد أرسل اللهُ جميع رسله -عليهم الصلاة والسلام-، قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾[الشورى:١٣].

ويتبين ذلك بنوعين من النصوص الشرعية:

النوع الأول: ما جاء في أنهم بُعثوا بالتوحيد، وفي ذلك آيات عديدة، منها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾[الرعد:٣٦].

النوع الثاني: ما جاء في أنهم كانوا مسلمين أو أُمروا بالإسلام، أو كان أتباعهم من المسلمين، وفي ذلك آيات كثيرة، منها: قول نُوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النمل:٩١]، وَقوله تَعَالَىٰ عَنۡ إِبۡرَاهِيمَ الْخَلِيلِ: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ . وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[البقرة:١٣١-١٣٢]، وَقَالَ مُوسَىٰ عليه السلام: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

كُنتُم ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٨٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ عن حواريي عيسىٰ عليه السلام: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[المائدة:١١١].

فلما أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ بالإسلام خص رسالته بشمولها لجميع الثقلين الإنس والجن من حين بعثته إلىٰ أن تقوم الساعة؛ يجب عليهم الإيمان به واتباعه.

ومتىٰ ما رعت أمته ﷺ هذا الأصل الأصيل أعني توحيد الله والحذر من الشرك والتحذير منه، وتمسكت بهديه، ولم تؤثر علىٰ سنته شيئًا من الأهواء أو الآراء أو الأذواق؛ مكن الله لها وأعزها، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[غافر:١٤].

الأثر الخامس: تكريم الله لبني الإنسان بدين العبودية الذي رضيه لهم، وذلك من وجوه، أذكر منها وجهين:

الوجه الأول: أن الإعراض عن سبيل العبودية لله سقوط في حمأة العبودية للهوىٰ والشيطان؛ فإن من لم يكن عبدًا لله وحده كان عبدًا لهواه والشيطان؛ فهما طريقان متقابلان لا ثالث لهما؛ ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[يس:٦٠-٦١].

وأشقىٰ الرق رق النفس والشيطان، وما عذابات المنحلين عن الدين عن

أحد بخافية اليوم؛ فها هي نسب الانتحار في الدول التي لا تدين بدين أو تدين بدين محرف أو تنبذ الأديان جملة أعلىٰ بأضعاف مضاعفة إذا ما قورنت بدول المسلمين، وقل مثل هذا في نسب الأمراض النفسية ونسب الأمراض الناشئة عن الفواحش، والمخدرات، وما كانت هذه الأدواء تعرف في مجتمعات المسلمين إلا لما ضعُف التمسك بالدين عند فئام من المسلمين وافتتنوا بغيرهم، وما تزال مجتمعات المسلمين هي الأطهر ظاهرًا وباطنًا جملةً وتفصيلًا.

الوجه الثاني: أن الإعراض عن هذا الدين مصير إلىٰ عبادة أرباب شتىٰ عاجزة ضعيفة، قال تعالىٰ مخبرًا عن قول يوسف عليه السلام: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[يوسف:٣٩].

وقد ضرب الله مثلًا للموحد والمشرك بمملوكيْن أحدهما بين مالكين مختلفين متنازعين سيئة أخلاقهم؛ فلا يقرّ له قرار ولا يهدأ له بال، ولا يرضىٰ عنه منهم أحد، والآخر خالصٌ لمالك واحد يعرف مراده؛ فيرضيه؛ قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزُّمَر:٢٩].

فشتان شتان بين من آثر نفسه بالكرامة؛ فخضع لله وحده وتعلق بالله وحده، وبين من رضي لها الهوان، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ

﴿ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج:١٨].

إنه الدين الذي قال فيه ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم الفارسي: «اللهُ ابْتَعَثَنَا، وَاللهُ جَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَىٰ سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَىٰ عَدْلِ الإِسْلامِ»[1].

وأما الذين سُعدوا وأكرمهم الله بالدخول فيه أو وجدان حلاوته من أهله؛ فإن أحدهم ما أن يُهدىٰ إلىٰ هذا الطريق حتىٰ تسكن نفسه وتذهب وحشتها، وتتم لها جمعيتها، ويتبدل خوفه أمنًا وحزنه انشراحًا وذله لغير الله عزًا، ويرىٰ أنه أسعد الناس وأعظمهم غبطة، وسلوا الداخلين في الإسلام، ومن ذاق مرارة الجاهلية، والتائبين عما يجدونه في قلوبهم بعد أن هداهم الله.

وأنّىٰ لهم ألا يجدوا الحياة الطيبة بعد مرارةِ اغترابٍ ووحشةِ ضياعٍ ومعيشةٍ ضنكٍ؛ وقد آووا إلىٰ الذي إليه المنتهىٰ، وهو أرحم بهم من أمهاتهم، لا قيام لأحد إلا بإقامته، ولا قوة إلا بالتقوي به، ولا ظفر إلا بإنزال الحوائج به، ولا غنىٰ إلا بالافتقار إليه، ولا عزة إلا بالانطراح بين يديه، لا أنس إلا بذكره، ولا هناءة إلا باستشعار قربه.

وحسبك برهانًا علىٰ تكريم الله لعباده بما أوضح لهم من دينه -والبراهين كثيرة- أن تقف علىٰ حال العرب في الجاهليه وحالهم في الإسلام.

---

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٥٢٠).

ولقد ذكّرهم الله بنعمة الإسلام عليهم في آيات عديدة من كتابه:

قال تعالىٰ ممتنًا عليهم بهدايتهم من ضلالتهم بالإسلام ونبي الإسلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة:٢].

وقال ممتنًا عليهم بتأليفه بين قلوبهم بالإسلام: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران:١٠٣].

وقرن نبينا ﷺ بين هاتين المِنَّتَيْن في حديثه للأنصار بعد غزوة حنين: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي**» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ[1].

وقال تعالىٰ ممتنًا عليهم بتمكينه لهم بعد استضعاف: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الأنفال:٢٦].

روىٰ الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية عن قَتَادَة بْن دِعَامة السَّدوسي -رَحِمَهُ اللَّهُ- قوله: «كَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْعَرَبِ أَذَلَّ النَّاسِ ذُلًّا، وَأَشْقَاهُ عَيْشًا، وَأَبْيَنَهُ ضَلَالَةً، وَأَعْرَاهُ جُلُودًا، وَأَجْوَعَهُ بُطُونًا، مَكْعُومِينَ عَلَىٰ رَأْسِ حَجَرٍ بَيْنَ

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٣٩) (١٠٦١).

الْأَسَدَيْنِ: فَارِسَ، وَالرُّومِ، لَا وَاللهِ مَا فِي بِلَادِهِمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ شَيْءٍ يُحْسَدُونَ عَلَيْهِ، مَنْ عَاشَ مِنْهُمْ عَاشَ شَقِيًّا، وَمَنْ مَاتَ رُدِّيَ فِي النَّارِ، يُؤْكَلُونَ وَلَا يَأْكُلُونَ، وَاللهِ مَا نَعْلَمُ قَبِيلًا يَوْمَئِذٍ مِنْ حَاضِرِ الْأَرْضِ كَانُوا فِيهَا أَصْغَرَ حَظًّا وَأَدَقَّ فِيهَا شَأْنًا مِنْهُمْ، حَتَّىٰ جَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْإِسْلَامِ؛ فَوَرَّثَكُمْ بِهِ الْكِتَابَ، وَأَحَلَّ لَكُمْ بِهِ دَارَ الْجِهَادِ، وَوَضَعَ لَكُمْ بِهِ مِنَ الرِّزْقِ، وَجَعَلَكُمْ بِهِ مُلُوكًا عَلَىٰ رِقَابِ النَّاسِ، وَبِالْإِسْلَامِ أَعْطَىٰ اللهُ مَا رَأَيْتُمْ، فَاشْكُرُوا نِعَمَهُ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ مُنْعِمٌ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ، وَإِنَّ أَهْلَ الشُّكْرِ فِي مَزِيدِ اللهِ، فَتَعَالَىٰ رَبُّنَا وَتَبَارَكَ»[1].

إنه الدين الذي قال فيه عمر الفاروق رضي الله عنه: «إنا كنّا أذلَّ قوم؛ فأعزنا الله بالإسلام؛ فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلّنا الله»[2]؛ فنحن المسلمين إلىٰ الله ربنا نسعىٰ ونحفد، بالإسلام نعتز، وإليه ننتمي، وإليه ندعو.

ومن مكر أعداء دين الله من الملاحدة وإخوانهم سعيهم لإحلال دين يسمونه (الإنسانية) محل الدين الذي أنزله الله؛ إنها دعوة ظاهرها الرحمة والإخاء والوئام وإنقاذ البشرية، وباطنها: الإلحاد، ونبذ العقائد الدينية، وإقصاء الشرع الرباني عن مناحي الحياة، ونفي أصحية الإسلام وسيادة الشريعة، وإسقاط أصل الولاء والبراء، والتسوية بين المسلمين والمجرمين،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٥٩).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٧)، وصححه الشيخ -رحمه الله- في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١١٨).

وما إحياء عقيدة أرباب الحلول ووحدة الوجود كالحلاج وابن عربي الطائي اليوم إلا أحد قوالب ترويج هذه النِّحلة.

وهذه الآثار الخمسة من شهدها وتدبرها حق التدبر أيقن من عظيم اضطرار العباد إلىٰ وحي ربهم وتبصيرهم بصراطه المستقيم الذي نصبه في الدنيا موصلًا إلىٰ دار كرامته؛ وأعظِم بها من ضرورة بشرية دائمة لهذا الدين؛ الدين الحق دين الإسلام.

وما أحوجنا والمسلمين اليوم إلىٰ تحقيق الرضا بالأصول الثلاثة: بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، وامتلاء القلب من معانيه، وبه دَرَك برد اليقين وطعم الإيمان، وبه عصمة -إن شاء الله- من الريب وشبهات الزائغين.

نسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يُمسّكنا بدينه حتىٰ نلقاه، وأن يذيقنا حلاوة الإيمان، و أن يسلكنا في أنصاره القوّامين به الذابين عنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.

المقدم

جَزَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَخَانَا الشَّيخَ عبدَالرَّحمنِ خَيْرَ الجزاءِ، وَنَفَعَ بِهِ المسْلِمِينَ .

وهكذا نعلمُ -إخوةَ الإيمانِ- أنَّ الإسلامَ جاءَ رحمةً للصَّغِيرِ والكبيرِ، والذَّكَرِ والأُنثَىٰ، وَلِلْعَرَبِ وَالعَجَمِ . والرَّحمةُ سَمْتُ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرينَ - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- كما وَصَفَهُ بِهَا رَبُّ العِزَّةِ والجَلالِ، فقالَ : ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، أَنْقَذَهُمْ مِنَ الشَّقَاءِ وَالظُّلْمِ، وَالبَغْيِ وَالعُدْوَانِ، وَخَطَّ لهم سَبِيلَ العَيْشِ الآمِنِ في الدُّنْيَا، وَضَمِنَ لِلْمُسْتَمْسِكِ بِغَرْزِهِ النَّجَاةَ وَالسَّعادَةَ في الآخِرَةِ .

أيُّهَا المباركونَ :

إنَّ الواقِعَ الذِي لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ أَنَّ رِسَالَةَ الإِسْلَامِ العالميَّة نَفَذَتْ إِلَىٰ قُلُوبِ كثيرٍ من النَّاسِ، فَأَحْيَتْ مَوَاتَهَا، وَعَرَّفَتْهَا الهِدَايَةَ وَالجَادَّةَ، وَأَلْبَسَتْهَا لَبُوسَ الصِّدْقِ، وَمَحَبَّةَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ؛ لما اتَّسمَتْ بِهِ مِنْ صِدْقِ أَخْبَارِهَا وَعَدْلِ أَحْكَامِهَا، كما قال العليُّ الأعلىٰ -سُبْحَانَهُ- : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، فَوَافَقَتِ العَقْلَ وَالفِطْرَةَ، وَدَعَتْ إِلَىٰ غَرْسِ الفَضِيلَةِ وَمُحَارَبَةِ الرَّذِيلَةِ، وَنُصْرَةِ المظلومِ، وإعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَأَخْرَجَتِ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّ العِبَادِ، وَمِنْ جَوْرِ الأديانِ إِلَىٰ عَدلِ الإسلامِ، وَمِنْ ضِيقِ الدنيَا إِلَىٰ سَعَةِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ؛ فَحُقَّتْ لَهَا السِّيَادَةُ وَالرِّيَادَةُ، وَفُضِّلَتْ عَلَىٰ مَا سِوَاهَا،

وَكُتِبَ لَهَا أَنْ تَكُونَ الرِّسَالَةَ الخَالِدَةَ ؛ لِخَصَائِصَ وَسِمَاتٍ تُوِّجَتْ بِهَا، آضتْ بِهَا إلىٰ الظَّفَرِ بِالمكانَةِ العَالِيَةِ، والمنقبَةِ السَّامِيَةِ .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ:

أَتْرُكُ الكلِمَةَ الآنَ لِلشَّيْخِ **محمَّد خَشَّان** -حفظه الله تعالىٰ- ؛ ليُحدِّثَنَا عن **(خصائصِ الإسلامِ ومناقِبِهِ)**، فَلْيَتَفَضَّلْ مَشْكُورًا .

المحور الثاني
خصائص الإسلام ومناقب الدين

فضيلة الشيخ محمد بن يوسف خشان
-حفظه الله-

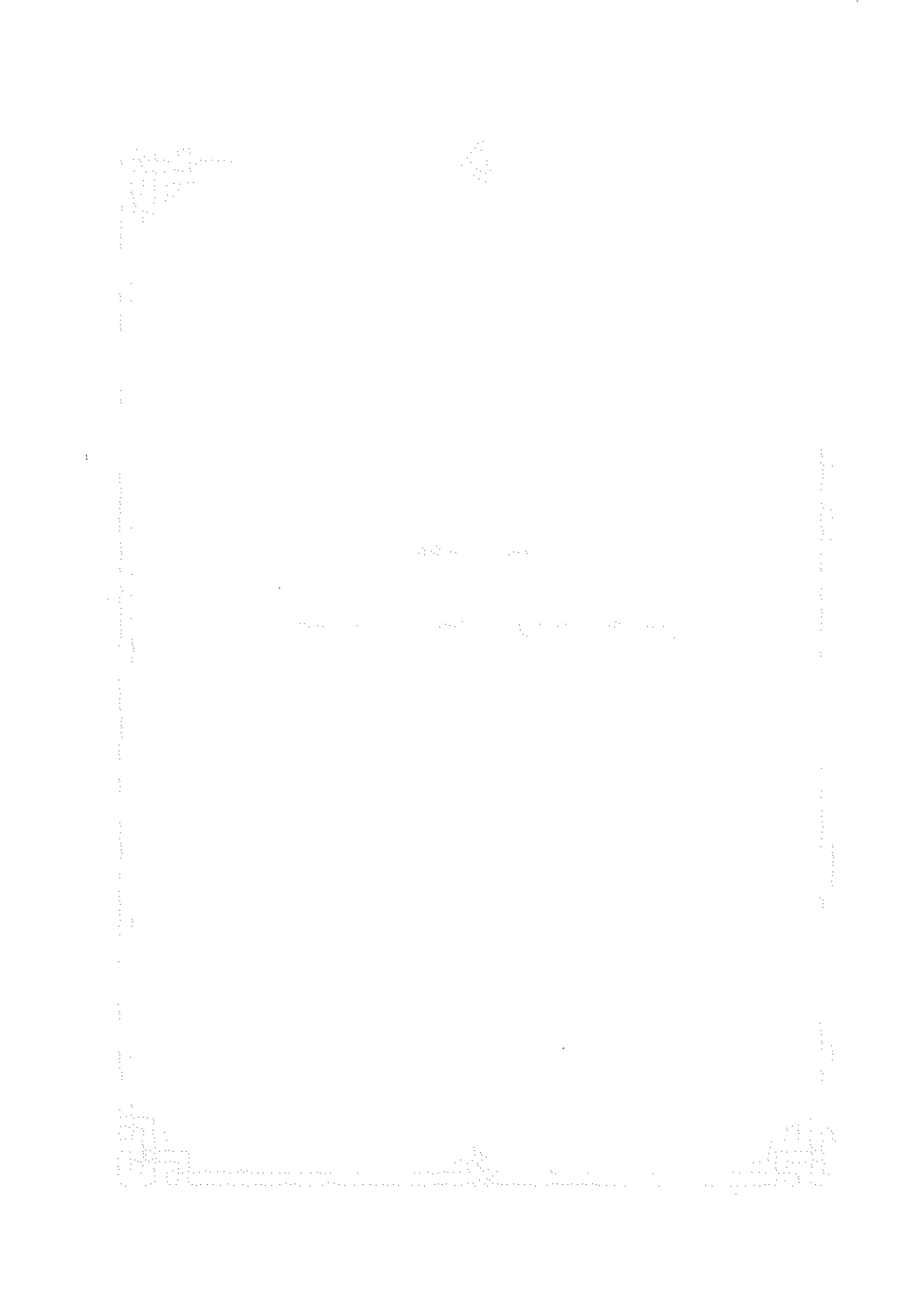

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ من أرسله الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين وبعد..

بدايةً وقبل كل شيء لا بد أن نعترف بحقيقةِ أننا عاجزون عن إعطاء هذا الموضوع كمال حقه، فإن من مواطن العجز ومواضع النقص أن يتكلم المتكلم مهما بلغ شأنه في العلم والفكر عن خصائص الإسلام ومناقب الدين؛ ذلكم أن الكلام في هذا الباب هو كلامٌ عن نظامٍ رباني أنزله الله تعالىٰ من أجل أن يبيّن طبيعة العلاقات وآلياتها وحدودها مع بني الإنسان فيما بينهم البين، ومع الخالق سبحانه، ومع هذا الكون الفسيح، وليت شعري من ذا الذي يستطيع أن يحيط بخصائص هذا النظام الرباني العظيم ؟

ومع اعترافنا بالعجز عن تمام البيان إلّا أنه من الممكن ذكرُ طرفٍ وإشارات تُجلّي شيئًا مما نحن في صدد الحديث عنه فنقول :

إن من المقرر عند أرباب علم الاجتماع أن نقائصَ الحياة وموانعَ الاستقرار ثلاثةٌ :

١ - إهدار القيم الروحية وما ينتج عن ذلك من فساد الأخلاق ونضوبِ معين الفضائل.

٢ - الاعتماد علىٰ القوة وتقديسها دون مراعاة للحق والعدل.

٣ - التهديد بالحرب واختراع أدوات التدمير والتخريب.

وهذه النقائص الثلاث متحققةٌ في الجاهلية الأولىٰ التي جاء الإسلام بهدمها ومن ثم بناءِ أركان التوحيد والإصلاح.

ومن سنن الله الشرعية أن الهلاك لا يحلُّ بالأمم ما دامت صالحةً مُصلحة تؤمن بالحق وتدعو إليه كما قال الله تعالىٰ : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[هود:١١٧][1].

ولقد جاء الإسلام مشتملًا علىٰ جملة من الخصائص والتي تدفع تلك النقائص ومنها :

أولًا: الربانية:

وهي خاصية الإسلام العظمىٰ وقاعدته الكبرىٰ وروحه التي تسري في مصادره، وعينه التي تجري في عقائده وأحكامه[2].

□ **فالإسلام رباني في مصادره** : حيث إن مصادر الإسلام محفوظة من الزيادة والنقصان أو التحريف والتبديل خلافًا لسائر الملل والأديان، قال الله تعالىٰ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وقال سبحانه : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢].

لذا فقد خابت جميع مساعي الطاعنين وجنايات المنتقصين من

---

(١) «دعوة الإسلام» (ص٢٣) سيد سابق -رحمه الله- .

(٢) «إن الدين عند الله الإسلام» (ص٨٩-٩٠) محمد يسري ابراهيم.

المستشرقين وأذنابهم ممن ليس لهم همٌّ إلا انتقاد الشرائع فلم تسلم لهم شبهة ولله الحمد.

□ **والإسلام ربانيٌّ في العقائد والغيبيات**: حيث بُينت العقائد في نصوص الوحي علىٰ أتم وجه وأحكمه وأبينه، وشرعت من الأحكام ما يحفظه ويحوطه، ومن ذلك- مثلًا-: نهيُ النبي ﷺ عن الحلف بغير الله وتسميةُ ذلك (شركًا)[1] والتعليل: حتىٰ لا يؤدي الحلف بغير الله إلىٰ تعظيمٍ غير مشروع.

لذا يقول تقي الدين ابن تيمية -رحمه الله-: وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا لا إله إلا الله[2].

ومن دلائل الربانية في العقائد والغيبيات أن يقال: إن المشهور عند العقلاء أن الكاذب لا يُقدم علىٰ الإخبار عن الغيبيات ويُكثر منها وبألفاظ جازمة وصريحة وبأدق التفاصيل بل لا يصدر الجزم والتفصيل إلا من صادقٍ واثق بصحة ما يُخبِرُ به.

وقد خبر الناسُ الكذَّابين وعرفوا مسالكهم وأنهم لا يبادرون إلىٰ الإخبار عن الغيب من غير سؤال أو طلب وإن أخبروا فإنهم لا يُعَبِّرون بألفاظ صريحة وجازمة، وإن أخبروا بذلك فسيقع في كلامهم التناقض والخلل لا محالة.

---

(١) أخرجه الترمذي (١/ ٢٩٠)، وأحمد في «المسند» في مواضع منها: (٢/ ٣٤ و٦٧ و٦٩) وغيرهما، وانظر «إرواء الغليل» برقم (٢٥٦١).

(٢) «الفتاوىٰ» (١/ ١٣٦).

لذا كان من دلائل صدق القرآن وأنه من عند الله تعالىٰ وقوعُ ما أخبر به ومن ذلك :

قوله تعالىٰ : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ . فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم:٢-٣].

وكذلك السنة، ومن ذلك :

* إخباره ﷺ بمصارع كفار قريش وأماكن مصارعهم يوم بدر.

* وإخباره بأن أول أهله لحوقًا به فاطمة.

* وإخباره بفتح بيت المقدس وغيرها.. (١).

□ الإسلام ربانيٌّ في أحكامه:

ومعنىٰ ذلك أن أحكام الشريعة صالحةٌ ومصلحةٌ للبشر في كل زمان ومكان، وأنها مستوعبة لجميع العباد مهما اختلفت ظروفهم وأحوالهم، خلافًا للقوانين الوضعية التي يضعها البشر والتي تتغير وتتبدل في كل عام مرةً أو مرتين كقانون الضريبة، وقانون المالكين والمستأجرين وغيرها من القوانين الوضعية التي تتبع الأهواء والمصالح واختلاف أحوال الزمان؛ بالإضافة إلىٰ عجزها عن استيعاب الوقائع والمستجدات، لذا قال الله تعالىٰ : ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [المُلك:١٤].

---

(١) انظر «براهين النبوة» (ص٢٨٢ - وما بعدها) د.سامي العامري.

ثانيًا: الفطرية:

حيث خلق الله الخلق علىٰ فطرة تقبل الإسلام وتقر بالوحدانية؛ ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ..»[1].

ومعنىٰ ذلك: أن كل إنسان قد خلق الله فيه قوةً واستعدادًا للتوحيد بحيث لو تُرك الإنسان علىٰ أصل فطرته دون تغيير لما كان إلا مسلمًا مُقرًا بالتوحيد بالجملة، ثم بعد ذلك يحتاج إلىٰ الرسل من أجل بيان الطريق الموصل إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ وجه التفصيل.

وقد خلق الله النفوس مستعدة للتوحيد وقبول الحق، تميل إلىٰ العدل والصدق وترغب عن الكذب والظلم والبغي، والإنسان وإن التذّ بما يأخذه ظلمًا من غيره فهو إنما يلتذ ببدنه لا بقلبه وعقله، ثم هو وإن التذ ببدنه وعقله فإنما ذلك لانتكاس فطرته وغياب عقله، فالإنسان الفطري إنما يلتذ إذا عدل وأحسن.

ولا منافاة بين كون الإنسان قد خُلق ميّالًا في أصل الفطرة للخير والإحسان والعدل، وبين قوله تعالىٰ في وصف الإنسان: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] فالظلوم الجهول هنا هو الكافر بما اكتسبه من الطبائع والصفات.

وفي هذا يقول الطاهر ابن عاشور -رَحِمَهُ اللَّهُ- بعد كلام-: ولك أن تجعل

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١١٨) برقم (١٣٥٨) ومسلم (٨/ ٥٢) برقم (٦٩٢٦).

ضمير (إنه) عائدا علىٰ الإنسان وتجعل عمومه مخصوصًا بالإنسان الكافر تخصيصًا بالعقل لظهور أن الظلوم الجهول هو الكافر.. وقد أطلق لفظ الإنسان في مواضع كثيرة من القرآن مرادًا به الكافر كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم:٦٦] الآية، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾[الانفطار:٦] الآيات[1].

والمقصود أن الإسلام بعقائده وأحكامه موافق للفطرة..

ففي العقائد : لا يوجد ما هو محالٌ فهمه وإدراك معناه؛ نعم.. في العقائد ما هو من باب المَحارات التي تحير العقول، ولكن ليس في أبواب العقائد -قط- ما هو من المُحالات التي يستحيل علىٰ العقل فهمها وقبولها، وهذا معلوم لكل دارس وباحث.

وأما الأحكام : فإنها تجري علىٰ وفق قواعد العقل ونوازع الفطرة، فإن من قواعد الفقه الكبرىٰ : (المشقة تجلب التيسير) وإن شئت قل : (المشقة مظنة التيسير) وكذلك : (كلما ضاق الأمر اتسع).

وكذا المعاملات : فإنَّها جارية علىٰ قانون تحقيق المصالح ودفع الظلم والقبائح عن العباد.

يقول صاحب كتاب «إن الدين عند الله الإسلام»: «فدين الإسلام بعقيدته

(١) «التحرير والتنوير» (٩/ ١٣٠).

وشريعته وأخلاقه وآدابه أقربُ ما يكون للخلقة والجبلة التي خلق الله الناس عليها، وذلك يتضح من خصائص عقيدته وشريعته ومنهاج عبادته وطريقة تزكيته للنفوس، وإقامة الحجج والبراهين علىٰ المخالفين والمعاندين، وعموم دعوته للبشر أجمعين، وقرب تشريعاته من التطبيق والتنفيذ، ورأفة تعاليمه بالخلق، ورعايتها لمصالحهم، وتيسيرها عليهم وتسويتها في التكاليف بينهم، ورعايتها لخصوصيات المرأة، وحسمها لأسباب الانحراف والفساد، وكل ذلك إنما شرعه وأنزله العليم الخبير بفطرة الإنسان؛ قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤]»[1].

ثالثًا: الشمولية:

فالإسلام منهج متكامل يشتمل علىٰ مصالح العباد في المعاش والمعاد في الدين والدنيا في دقيق الأمور وجليلها، يشتمل علىٰ أحكام الصغير والكبير الذكر والأنثىٰ الحر والعبد، السلم والحرب، فالإسلام يُعنىٰ بالإنسان روحًا وجسدًا ويُعنىٰ بالدنيا والآخرة.

ومن شمولية الإسلام أنه بيّن للإنسان ما يحتاجه في أدق التفاصيل.

فمن حديث سلمان - والحديث عند مسلم- أنه قيل له:

لقد علمكم نبيكم كل شيء حتىٰ الخِرَاءَةَ؟ قال:

---

(١) (ص٩٢).

أجل؛ لقد نهانا ﷺ أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وأن لا نستنجي باليمين، وأن لا يستنجي أحدُنا بأقل من ثلاثة أحجار، أو نستنجي برجيع أو عظم[1].

وأقتصر في بيان شمولية الإسلام علىٰ مثالين:

الأول: شمولية أحكام الإسلام للإنسان في جميع مراحل حياته، حيث اشتمل الفقهُ علىٰ بيان حقوق الجنين وهو في بطن أمه - كتوريثه وحرمة إسقاطه - واشتمل علىٰ أحكامٍ وحقوقٍ عندما يكون طفلا -كالحضانة والرضاعة- وأحكام وحقوق عندما يكون أبًا أو أمًا - كالبر - ثم عندما يكون شيخًا بل عندما يموت له حقوق كوجوب غسله وتكفينه ودفنه واتباع جنازته كما في قوله ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ خَمْسٌ**: ...» وذكر منها: «**واتباع الجنائز**».

والفلاسفة والملاحدة لما قرروا أن الحياة هي هذا العالم المحسوس، وأن خطاب الرسل عليهم السلام إنما هو خطابٌ تخييلي وغير حقيقي وبالتالي لا قصاص من ظالم لمظلوم كان هذا الخطاب الإلحادي من شأنه أن يجعل الإنسان يقبلُ علىٰ اللذائذ يعب منها عبًّا دون مراعاة لقواعد العدالة.

وكل ما نراه اليوم من الجرائم والمآثم ما هو إلا ثمرةٌ من ثمرات الفكر المادي، وإقصاء ذخائر الشريعة عن أن تكون حاضرة في حياة الناس[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٥٤) برقم (٦٢٩).

(٢) «دعوة الإسلام» (ص٩٣).

الثاني : شمولية الإسلام في أوامره ونواهيه:

حيث إن الناظر في الأحكام يجد أنها تقوم على ثلاثة أسس:

الأول : (الأمر أو النهي) كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء:٥٨].

الثاني: (الترغيب والترهيب) : ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ. وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:٧-٨] قال العلامة السعدي في «تفسيره»: «وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلا والترهيب من فعل الشر ولو حقيرًا»[(١)].

الثالث : (بيان العاقبة) ومن ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم الله عليه الجنة**» فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «**وإن كان قضيبا من أراك**»[(٢)].

فالكُمّل من أهل الإيمان يكفيهم الأمر أو النهي، ومن دونهم يُحركهم الترغيب والترهيب وسوء العاقبة، فأنت تلحظ هنا أن الأحكام الإلهية شاملةٌ

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٣١٥).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٨٥) برقم (٣٧٠).

لجميع الناس قوي الإيمان وضعيفه.

رابعًا: العالمية:

فالإسلام هو دين العالمية، حيث إن الإسلام لا يختص بعصر دون عصر، ولا مكان دون مكان ولا قوم دون آخرين كما قال الله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[سبأ:٢٨].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «..**وأُرسلت إلىٰ الخلق كافة**»[1].

لذا؛ نقول : إن الإسلام عالميٌّ في علاقاته: فهو يقيم العلاقات علىٰ أساس التوحيد والإيمان فالمؤمنون إخوة وإن اختلفت أقطارهم أو لغاتهم أو أعراقهم أو ألوانهم ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوىٰ.

وهو عالميٌ في أحكامه وتشريعاته : حيث ثمة أحكام هي من باب الثوابت والتي لا يُمس جنابها بالبحث والاجتهاد، وثمة متغيرات، وهذه المتغيرات تختلف أحكامها باختلاف الأشخاص والأماكن والظروف والبلدان وهذا معنىٰ كونها عالميةً.

وهذه العالمية بشقيها تواجه اليوم تحديات متنوعة.

ففي جانب (**العلاقات**) يسعىٰ العلمانيون واللادينيون إلىٰ قصر العلاقات

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٤) برقم (١١٩٥).

بين الأفراد علىٰ أساس الشعوبية، أو العرقية، أو القطرية.

وفي جانب (التشريعات) هناك دعوات ممنهجة تدعو إلىٰ وضع الثوابت الدينية علىٰ طاولة البحث والنقاش، ومن ذلك إنكار الحدود ومنها حد الردة والزعم بأنه يتناقض مع الحرية، وهذا سوء ظنٍ بأحكام الإسلام بل هو كذب وتضليل..

فحدّ الردة قد دلت عليه إشارات القرآن وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[البقرة:٢١٧].

والفاء في قوله تعالىٰ : (فيمت) هي فاء التعقيب والتي تفيد أن الارتداد يعقبه موتٌ، وقد عُلم أن معظم المرتدين لا تحضر آجالهم عقيب الردة، فيعلم السامع حينئذٍ أن المرتد يعاقب عقوبة شرعية بإزهاق نفسه؛ فتكون الآية دالة علىٰ وجوب قتل المرتد.[1].

وأما أدلة السنة فقد تواترت في إثبات عقوبة المرتد كما قال العلامة أحمد شاكر، وعلىٰ هذا أجمع الصحابة، وأكثر من ثلاثين عالما نقلوا الإجماع علىٰ قتل المرتد.

ثم إن عقوبة الردة بالقتل تتوافق تمامًا مع العقول السليمة، حيث إن

---

(١) انظر «التحرير والتنوير» (٢/ ٣٣٥).

العقوبة بالقتل وإن كانت مستعظمة علىٰ النفوس إلا أن هذا هو شأن العقوبات لأنها روادع وزواجر.

ومعلوم أن العقوبة إنما تعظم بعظم متعلقها ومتعلق (الحد) هو (الدين) أو (الردة عن الدين).

فالدين هو أعظم الكليات والضروريات التي دلت الشريعة علىٰ وجوب حفظه وحياطته وحراسته.

وجاهل من يظن أن عقوبة الردة إنما جاءت بسبب تغيير القناعات، أو مصادرة للحريات، بل ذلك من أجل حفظ الدين وحراسة كيان المجتمع المسلم من التشقق والتفسخ والانهيار.

فالدخول في الدين لا إكراه فيه ولكن من دخل فيه فلا بد أن يكون ذلك ناشئًا علىٰ قناعة ومعرفة بمحاسن هذا الدين، فمن دخل ثم ارتد فإنه لن يكون إلا منافقًا يريد تشكيك الناس في دينهم، لأن من عرف الإسلام أحبه ولا بد.

وقد كان هذا أسلوبًا من أساليب المنافقين في تشكيك المؤمنين بدينهم كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِالَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[آل عمران:٧٢].

فالدخول في الإسلام لمن عرف مناقبه ومحاسنه لا يحتاج إلىٰ جبرٍ وقهرٍ بل هو دين الفطرة والعقل.

وفي هذا يقول المستشرق بولن ويلي: إن دين محمد ﷺ هو دين العقل

ولا يحتاج مثل هذا الدين إلىٰ القهر والجبر لنشر تعاليمه ويكفي الناس عندما يفهمون أصوله أن يسارعوا إلىٰ اعتناقه لأن هذا الدين منسجم مع العقل والفطرة البشرية.

لذا؛ يواجه الإسلام الصحيح هذه الأيام تحديًا علىٰ كافة المستويات، وعلىٰ جميع الجبهات الداخلية والخارجية ما يستوجب رصّ الصف، وجمع الكلمة وتوحيد الجهود.

وكم هو محزنٌ صمت الكثيرين من أبناء الملة، ويكأن ما يجري من هجوم علىٰ العقائد والشرائع لا يعنيهم، والله الموعد.

ورحم الله أنور الجندي حينما قال في كتابه «عالمية الإسلام»ص (١٣٥): إن عالمية الإسلام تواجه الآن تحديًا واسعًا وخطرًا ضخمًا يحاول أن يحتوي أمته ويسيطر علىٰ فكرها ويهدد مقدساتها ومقرراتها وقيمها الأساسية بتحويلها من المنهل العذب والمورود الثر مورد القرآن الكريم نور الله وهديه إلىٰ العالمين إلىٰ موارد كدرة مليئة بالأخطار.

خامسًا : الوسطية:

فالإسلام هو دين الوسطية، قال الله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة:١٤٣].

والأمة الوسط هي الأمة الأعدلُ والأفضلُ والأخيرُ بين سائر الأمم والملل .

فعقيدة المسلمين وسط بين عقائد أصحاب الأديان :

* فاليهود يصفون الله تعالىٰ بالنقائص، وغيرهم يعتقد أن الله ثالث ثلاثة.

* وفي العبادات: يغلو اليهود في الطهارات، فإذا أصابت ثيابهم النجاسة فإنهم يقرضونها، وغيرهم يعبد الله علىٰ غير طهارة.

* وفي باب المآكل والمشارب حُرِّم علىٰ اليهود بعض الطيبات، واستحل غيرهم الخبائث فأكلوها.

* وعبادة المسلمين وسط بين من غلا في العبادة وترهبن وانقطع عن الحياة، وبين من جفا عنها وأعرض وترك التأله والتعبد مستغنيًا عن الخالق ووحيه.

وهكذا فإن الإسلام وأهلَه وسطٌ بين الأديان جميعًا فلا إفراط ولا تفريط.

والحمد لله رب العالمين..

المقدم

جَزَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَخَانَا الشَّيْخَ محمَّدًا خَيْرَ الجزاءِ، وَنَفَعَ بِهِ المسْلِمِينَ .

أَيُّهَا الأَحِبَّةُ في الله :

مَا فَتِئَتْ الأُمَمُ المناوِئَةُ لِلإِسْلَامِ تُضرِمُ نَارَ العَدَاوَةِ والبغضاءِ والحسدِ في وَجْهِ الإسلَامِ وَأَهْلِهِ، مِن غيرِ كَلَلٍ وَلَا مَلَلٍ، وَتَحُوكُ المؤامرةَ والصّراعَ من أجل البقاء ؛ ذلكم أنَّ المُثُلَ والقِيَمَ لِهَذَا الدينِ وما كُتبَ لَهُ من عُلُوٍّ وَتَمْكِينٍ تَأْبَاهُ نُفُوسُهُم، وَتُنْكِرُهُ قُلُوبُهُمْ ؛ لأنَّهُم أهلُ دُنيا دنيَّةٍ، رأوا أنها ستُسلَبُ من أيديهم، وسيتجرَّعُونَ أَكْؤُسَ الحِرْمَانِ من لذَائِذِ الحياة ؛ فأزَّهم ذلك أزًّا شديدًا ! وَذَلِكَ لِتَبَايُنِ الحضاراتِ الإنسانيَّةِ في أُسُسِ بِنَائِهَا وعوامِلِ نهضتِهَا .

فالحضاراتُ الغربيَّةُ سَعَتْ في محاولةِ التَّوفيقِ بينَ الإنسانِ والطَّبيعَةِ، واتجهَتْ نحوَ الرَّأسماليَّةِ والعلمانِيَّةِ والليبراليَّة والمذاهِبِ العَقْليَّة ؛ مَا دَعَا إلىٰ نشأةِ المدارس الفكريَّة والفلسفيَّة، وصاحبَ هذَا التَّوَجُّهَ اكتشافاتٌ علميَّةٌ، وَرَأَتْ أنَّ ذلك أساس البشريَّة، الأمرُ الذي زادَ من الاهتمامِ بالإنسان، وجعلَهُ الحجرَ الأساسَ في بناءِ الحضارَةِ، بَيْدَ أَنَّهَا نَحَّتِ الجانِبَ الإيمانيَّ والغيبيَّ في بنائِهَا، وَنَأَتْ بِنَفْسِهَا عن منظومةِ الأخلاقِ والقِيَمِ ؛ فَبَدَتْ سوْآتُهَا، وَتَفَشَّتِ العُنصريَّةُ والنَّظرةُ إلىٰ اللَّونِ والعِرقِ والجنسِ وَالطَّبقِيَّةِ ؛ فكانَ نذيرَ شُؤمٍ باعِثًا علىٰ الظُّلمِ ؛ ينبِئُ بِزَوَالِهَا وَسُقُوطِهَا وَامِّحَائِهَا .

قالَ الحقُّ -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾، وهذا ما جَرَىٰ مَعَ أُمَمٍ سَلَفَتْ، كانَتْ قد بلغت الذّروةَ في التقدم والرقي والأَشَرِ والبَطَرِ، وصاروا -من بعدُ- كاليومِ الغابِرِ وأمسِ الدَّابِر، قال اللهُ -جلَّت حِكْمَتُهُ-: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ. وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾، وفي العَهْدِ الإِسْلَامِيّ لما افتُتِحَتْ قُبْرُصَ ؛ فُرِّقَ بَيْنَ أهلِهَا، فَبَكَىٰ بعضُهُم إلىٰ بَعْضٍ، قال جُبَيْرُ بنُ نُفَيْرٍ : فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جالسًا وَحْدَهُ يبكِي ؛ فقلتُ : ما يُبكيكَ في يومٍ أعزَّ اللهُ فيهِ الإِسلامَ وأَهْلَهُ ؟ قالَ : وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ ! مَا أَهْوَنَ الخلقَ علىٰ اللهِ -عزَّ وجلَّ- إذا تركوا أمرَهُ ! بينَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظاهِرَةٌ لهم الملك، تركوا أمرَ اللهِ؛ فصارُوا كما ترىٰ».

أيُّها الأحبَّةُ الأكارمُ :

إنَّنَا نُبصِرُ الحضارةَ الإسلاميَّةَ -وهي جزءٌ من منظومة حضاراتٍ مَرَّتْ علىٰ البشريَّة منذ فجر التاريخ- هي الحضارةُ الوحيدةُ التي استطاعت أن توائم بين الجانب الروحي والجانب المادّي في الحياة الإنسانيَّة بشكلٍ متوازنٍ من أجل تحقيق إعمارِ الأرض، ولم تَفْصِمْ بين عُرَىٰ الدينِ والدَّولة، بل تؤمِنُ أنَّ الإسلامَ منهجُ حياةٍ شاملٌ ومتكامِلٌ، وأنَّهُ أحَدُ أسس التفكير العقلي عند المسلمين، وأخلاقُهُ السَّمحةُ تشكلُ حجرَ الزاوية في بناء المجتمع الإنساني، إذْ يجمع الإسلامُ بين جميع أجناس المسلمين في الأرض علىٰ مبدأ الأخوَّةِ وتحقيق العدلِ بينهم بما لهُم ومَا عليهِم ؛ الأمرُ الذي أَضْفَىٰ طَابِعًا شُمُولِيًّا

وواقعيَّةً وموافقةً للفطرةِ أَكْثَرَ مما جنحَتْ إليهِ الأفكارُ الغَرْبِيَّة .

وأدعُ الكلمةَ الآن لِلشيخ الدكتور **حمزةَ المجالي** -حفظه الله تعالىٰ- ؛ ليُحدثنا عن (**مراعاةِ الإسلامِ للقِيَمِ الإنسانيَّةِ مِنْ خِلَالِ قَاعِدَةِ الحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ**)، فلْيتفضَّل مشكورًا .

المحور الثالث
مراعاة الإسلام للقيم الإنسانية

فضيلة الشيخ الدكتور حمزة بن ماجد المجالي
-حفظه الله-

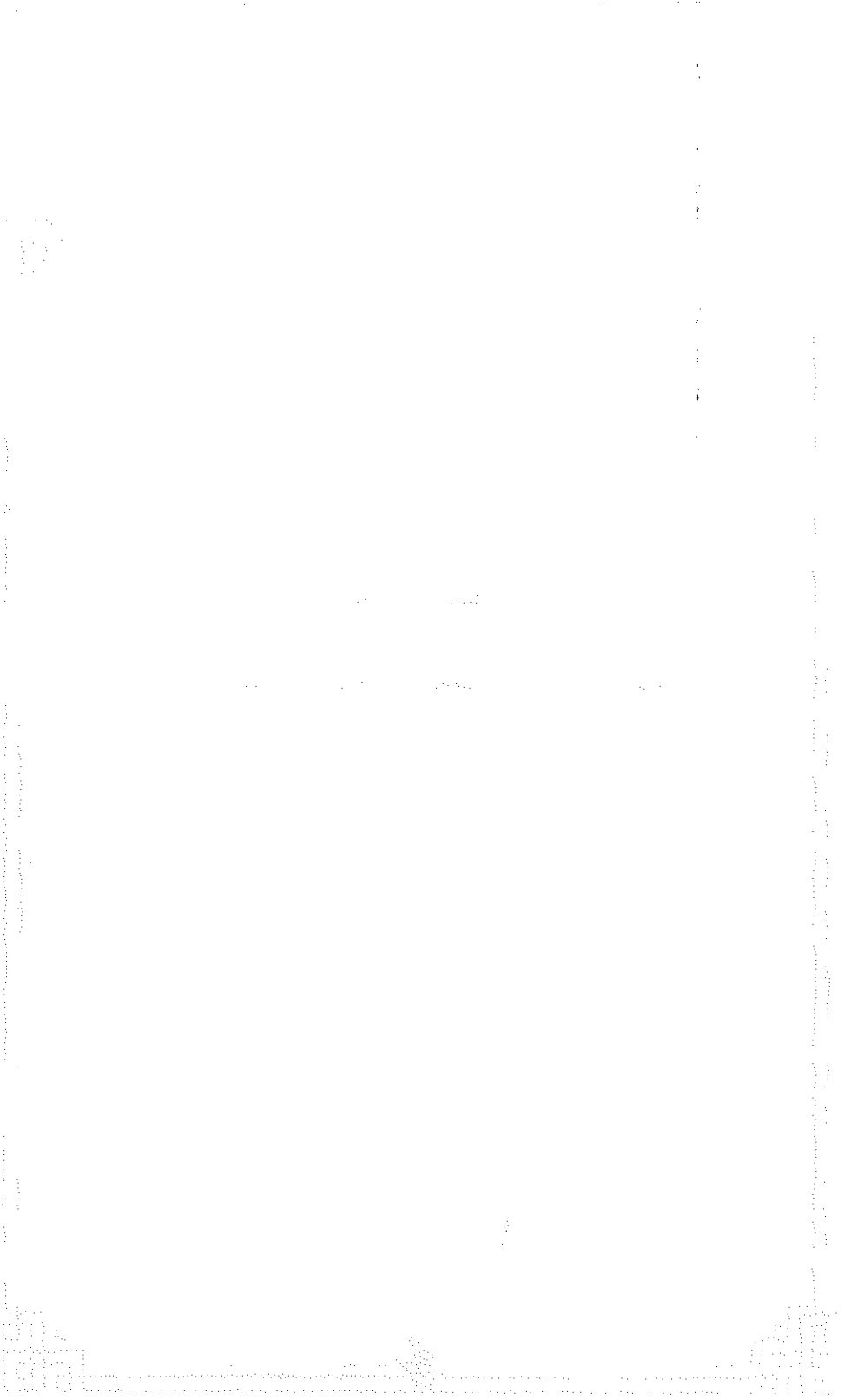

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعدُ:

فبادئ ذي بدءٍ، جزىٰ اللهُ إخواننا وأحبابنا في مركز الإمام الألباني علىٰ هذه الندوة، في هذا الوقت الصعب، وهذه المرحلة الخطيرة التي تعيشها الأمة.

ولعل الأمة لم تشهد في تاريخها مرحلةً تستهدفُ ثوابتَنا وحقائق الشريعة مثل هذه المرحلة، فأسأل الله أن يحفظ علينا ديننا.

إذن أيها الأحبة أحتسب أنا وأنتم، علىٰ الله اجتماعنا.

فيروي أبو سعيد الخدري في «صحيح مسلم» أن معاوية بن أبي سفيان، خرج يومًا علىٰ أصحابه في الشام في المسجد، فرآهم جلوسًا.

فقال: آلله ما أجلسكم [أي: بالله عليكم ما أجلسكم]؟

قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلّا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلّا ذلك. فذكر معاويةُ الحديث وذكرَ منزلتَهُ عند النبي ﷺ، وأنه من أقلهم حديثًا مع منزلتهم من النبي ﷺ.

ثم قال: إني سمعت ورأيت النبي ﷺ، خرج يومًا علىٰ حلقة من أصحابه.

فقال ﷺ: «آللهِ ما أجلسكم؟» -أي بالله عليكم ما الذي جَمعكم ؟ لمَ جَلستم ؟-.

قالوا: والله ماجلسنا يا رسول الله، إلا أن نذكر الله ونحمَدَهُ علىٰ ماهدانا للإسلام وَمَنَّ به علينا.

فقال ﷺ: «**آاللهِ ما أجلسكم إلا ذاك؟**».

قالوا: والله ما أجلسَنا إلا ذاك.

فقال ﷺ: «**أما إنِّي لم أستحلفكم تهمةً لكم، ولكن أتاني جبريلُ فأخبرني أنَّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- يباهيٰ بكم ملائكته**» [رواه مسلم: (٢٧٠١)].

فلعلنا في حديثنا الليلة عن الإسلام ودفاعنا عن هذا الدين، وشكرنا وحمدنا لربنا أن من الله علينا بهذه النعمة المباركة العظيمة، التي لا يمكن أن نحقق شكرها، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

قال ابن كثير: (أي: فارْضَوْهُ أنتُم لأنفسكم، فإنّه الدِّين الّذي رضيه الله وأحبّه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه).

الله الذي رضي لنا الإسلام دينًا هو الّذي يقول عن نفسه -جل في علاه-: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤].

قالوا: ما وجه المناسبة أن الله جمع بين الخلقِ والأمرِ في الآية؟

نقول: وجه المناسبة أن الله يعلم ما خلق، فالخلق خلقه، ويعلم ما شرع، فالشرع شرعه، وكأنّه يقول: فاعلم يا عبد الله أن خلقي لن يستقيم إلا بشرعي.

لذا؛ قال الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.

وعليه؛ فلا بد أن نحمد الله أحبتي علىٰ نعمة الإسلام، احمدوا الله علىٰ نعمةِ أنَّ الله ارتضاكم عبيدًا له.

لمَّا زُرنا الهند في معيّة شيخنا -حفظه الله- رأينا آلهة لا تخطر علىٰ عقل شيطان فضلًا عن البشر، ولعلهم سبقوا الشيطان في اختراع الآلهة حتىٰ إني رأيت بعيني في مقطع مصور قومًا يعبدون جرذان، والجرذان عندهم لهم معبد، معبد ضخم، وهؤلاء الجرذان حجم الواحد فيهم كالخروف.

إذا دخل هذا الرجل أراد أن يأتي آلهته قدّم قربانًا - طعامًا دسمًا - فيأكل الجرذان حتىٰ يكتفوا، ثم إذا اقترف ذنبا ماذا يفعل ؟ يطرح نفسه عند آلهته فتبقىٰ الجرذان تقرضه بأسنانها حتىٰ يسيل دمه، فإن سال دمه قام وقد ارتاح بأن ربه قد غفر له .

أما أنا وأنت، فنرجو من الله أن يغفر لنا بقولنا: (أستغفر الله وأتوب إليه).

الإسلام نعمة ليس بعدها نعمة، ولذا أيها الأحبة والله ما خشينا ولن نخش علىٰ الإسلام يومًا ولا لحظة؛ لأن الله قد تكفل بالدين وحفظه، قال جلّ في عُلاه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحِجر:٩].

إنما الخوف - والله - علىٰ أنفسنا وأولادنا في وقتنا هذا المليء بالمحن والفتن، فالأمة في صراع شديد واللهُ أعلم كيف نخرج من تلك المحن والفتن، أو يخرج أولادنا، إما أن نخرج بالسلامة والنجاة وإما بغير ذلك، أسأل الله أن يتولانا برحمته.

وكان من دعائه ﷺ : «**اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسِّكْني الإسلام حتىٰ نلقاك عليه**» [«السلسلة الصحيحة» (٣/ ٤٦٢) رقم (١٤٧٥)].

وكان من أكثر دعائه ﷺ: «**يامقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك**» [الترمذي (٢١٤٠)].

..... اللهم لا تمتنا علىٰ سواه.

أيها الأحبة الأمة تعيش هذه المرحلة الخطيرة جدًّا.

لا يقول عاقل: الأمة بخير، ونحن بخير، والدعوة بخير، والإسلام بخير. فإنَّ صاحب المقالة لَمْ يتأمل ببصيرة المرحلة التي نعيشها .

فالأمة تتعرض إلىٰ التشكيك وحملات التجهيل من قديم قالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾...

قالوا : ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾.

﴿...ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾، شككوا في الإسلام ونبيه ﷺ، فقالوا: شاعر، ساحر، مجنون، شككوا في الدين من بداياته، لكننا نعيش في أيامنا حملة تشكيكية منظمة مسعورة أصابت ثوابت الدِّين و حقائق الشريعة، ووقع الكثير من أبنائنا صرعىٰ في شباك التشكيك وشِراك الإلحاد .

صار الإسلام بمنظور هؤلاء مصدِّر الإرهاب والمنتج له، إذا فعل بعض أبناء الإسلام إرهابًا -يرفضه الإسلام- إما خيانةً أو جهلًا، صوَّروا أن الإسلام

هو الذي يأمر به، صار الإسلام -عندهم- دينًا ذكوريًّا لا يحترم المرأة ولا يقدِّرها، ودين الأساطير والخرافات لا يحترم العقل، وصار الإسلام .....

ويستعملون مصطلحات برَّاقة وفتَّانة يقولون :

حرية شخصية، وحداثة، وتعددية، ومواجهة الماضوية وكلها مصطلحات يفتتن بها أبناؤنا ويقعون صرعىٰ دون تيقظ لخطر المؤامرة.

وسبب ذلك: أن أبناءنا لم يتسلَّحوا بالعلم، ولم نقم نحن أيضًا في كثير من الأحايين بواجب الوقت من العلم، حيث أنَّا نستخرج خصومًا لنا من أجدادهم فنتكلم في بعض الفرق التي لا وجود لها، وننسىٰ صراع الساعة وخطر الساعة واللحظة والوقت، وقد كفانا علماؤنا وأئمتُنا الرَّدَّ علىٰ هؤلاء السابقين من أهل الزيغ والانحراف، وبالمقابل لا نَتَنَبَّه إلىٰ ما يتعرض له أبناؤنا .

اليوم يا إخواني مثل هذه الندوة هي من أهم الواجبات، ومن أهم ما نقدم لتحصين أبنائنا وإخواننا وشبابنا ولصناعة مناعة قوية ومضادات مقابل هذه الحملات المسعورة.

جاءني شاب، شاب لم يتجاوز من العمر خمسًا وعشرين سنة يقول :

أسأل سؤال، جلست مع قوم يقولون لي إذا كان محمد ﷺ خيرًا من المسيح فلماذا يبعث الله المسيح في آخر الزمان، ولا يبعث محمدًا ﷺ؟!

صاحب السؤال خالٍ من الثوابت! الثوابت عنده ليست راسخة: أن هذا

وحي فأؤمن به كما جاء، وأسلم له، وأتعامل معه علىٰ أنه خبر مصدق يقينًا .

انعدام أو ضعف الثوابت عند كثير من أبناء المسلمين:

سببه: ضعف العلم في حياة أبنائنا، ثم الافتتان بحضارة الغرب، هذه الحضارة التي لا تعرف الرحمة وتقوم علىٰ الأنا والأنانية، ولا تعرف الآخر قط إلا بنظرة الدُّون، تأمَّل حال هذه الحضارة -نسأل الله السلامة والعافية- بماذا جاءت للعالم؟

لما صار العالم يتمركز حولها، ماذا قدمت للإنسانية؟ قدّمت لها الدَّمار والوباء والأمراض والفقر .

هل تعرفون أيها الأحبة أن هناك نظرية تسمىٰ (نظرية السكان المالتوسية أو الرؤية المالتوسية).

رجل من القرن السابع عشر الميلادي، كان قسًّا بريطانيًّا ينتمي لأسرة ثرية من ملّاك الأراضي، نشر كتابًا أو مقالًا مهمًّا عام (١٧٩٨م)، بعنوان: [مقالة: حول مبدأ السكان كما يؤثر في تحسين مستقبل المجتمع].

ملأه أفكارًا كارثيَّة حول: صياغة العلاقة بين الأغنياء والفقراء، وتحليل التناقض بين زيادة السكان، ونقص الغذاء.

وفكرة المقالة الرئيسة:

هي أنَّ عدد السكان يزداد بمتوالية هندسية، بينما إنتاج الغذاء يزداد بمتوالية حسابية، وهذا يعني أنّه في مرحلة زمنية مستقبلية، سوف يكون الغذاء

أقل من حاجة السكان، وهو لا يلتفت إلىٰ العالم، إنما يهتم بالجنس الأبيض الغربي -طبعًا-.

والحل بالنسبة له من خلال سبيلين:

الأول: سلبي وقائي، وذلك من خلال الحد والتقليل من معدلات الإنجاب التي لاحظ أنّها تزداد لدىٰ الطبقات الفقيرة بقوة، وهذا يتحقق بتأخير سن الزواج وكبح الشهوة الجنسية ومنع الزواج والإنجاب وهكذا.

الثاني: إيجابي، وهذا يحدث إمّا عن طريق الكوارث الطبيعية، كالزلازل والبراكين والفيضانات، أو بفعل الإنسان عن طريق إحداث الحروب ونشر الأمراض والمجاعات وغير ذلك.

تأمَّل أخي: مع أنّ هذه النظرية قد تعرضت إلىٰ انتقادات كثيرة لمسلكيات علمية وأخلاقية، لكنها فيما بعد كفكرة بحد ذاتها تغلغلت في الثقافة الغربية، واحتلت مكانة مهمة في العقل السياسي والاقتصادي الغربي، ونسجت علىٰ منوالها نظريات صارت تسيطر علىٰ الرؤية الغربية للعالَم[1].

هذه حضارة الغرب!!

إذا أردنا أن نعرف حضارة الغرب فلننظر ماذا فعلوا في العراق وأفغانستان والشام واليمن وما فعلوا في بلاد المسلمين. هذه هي حقيقة حضارة القوم

---

(١) انظُر -لزامًا- رسالة: «الحدائق الخلفية»، ففيها مزيد بيان وتفصيل.

التي تقوم على الهيمنة والاستبداد، تقوم على تسفيلِ قضايا المرأة وتهييج الشهوة والحيوانية.

ومع هذا وذاك يفتتن أبناؤنا بحضارة الغرب، لم ؟؟!!

والله قد آتاك حضارة ربانية إلهية جمعت من الكمال مالم يجمعه أحد. لن تعرف البشرية الراحة بغير سيادة حضارة الإسلام، لن تقوم البشرية، بل الكرة الأرضية بالحياة على وجهها الصحيح، ولن تعرف الأمان بمثل حضارة الإسلام .

ولذا -أيها الأحبة في الله- فوقوع أبنائنا صرعى في حملات التشكيك والتجهيل وحملات الإلحاد وتلك الشباك الخطيرة، إنما بسبب الجهل أولًا، والافتتان بحضارة القوم ثانيًا.

اليوم ما يقوم واحد مجنون في العالم بشيء من أفعاله الجنونية - موضة من الموضات - إلا تراها في بلاد المسلمين تنتشر قبل بلاد الغرب انتشار النار في الهشيم، لأنَّا ابتُلينا بتبعية مطلقة ونَظَرٍ إلى القوم لا يجوز أن ننظر به إليهم.

إضافة إلى تضخيم أخطاء بعض المسلمين، فالذي جرى في نيوزلاندا لو فعله مسلم لكان إعلام العالم إلى اليوم يتكلم عنه، يُتكلَّم عن الإرهاب والتطرف والعنصرية للآن، لكن الأمر انتهى والقضية أغلقت ونزع وصف الإرهابية عن غيرنا من أهل الأديان الأخرى وانتهى ملف القضية؛ لأن الفاعل ليس مسلمًا .

فتُضَخَّمُ أخطاؤُنا التي يرفضُها إسلامُنا.

أما أخطاء غيرنا مباشرة تُستدرك وتُحاط وتنتهي آثارها.

ونسأل الله أن يحمي دينه وأن يحمينا بحمايته لدينه.

أيها الأحبة في الله لما نقول: قيم حضارية أو إنسانية رعاها الإسلام، ماذا نقصد بالقيم ؟

قرأت كثيرًا في تعريفات العلماء للقيم، فوجدت من أقربها وأيسرها قول القائل:

هي صفات أو مُثُلٌ أو قواعد تقام عليها الحياة البشرية؛ فتكون بها الحياةُ إنسانيةً، أي أن هذه القيم هي علامة فارقة بين الحيوان والإنسان .

الحيوان يأكل والإنسان يأكل، والحيوان يشرب والإنسان يشرب، والحيوان ينام والإنسان ينام، والحيوان يتكاثر، والإنسان يتكاثر، إنما العلامة الفارقة بين العَالَمَين أن الإنسان يتكون من ماذا ؟ قيم أنتجها العقل مع التزامه التكليف - أي: يتكون من قيم ناشئة عن العقل والتكليف -.

هذه القيم تُقام بها الحياة ويُقاس بها معيار النُّظم والأفعال.

وقيل : هي مجموعة من القواعد والمبادئ التي تقوم عليها الحياة الإنسانية .

** القيم في الإسلام -أيها الأحبة- تنطلق من هذا الشرع المبارك،

الشرع الكامل.

فإنَّا نحتاج اليوم إلىٰ أن نتعلم ديننا، وأن نعتني في أبواب الغايات -المعاني الغائية من الأحكام-، وأن نتعلم أبواب المقاصد في الشريعة والتشريع وعلل الأحكام وحكمها، وأن ننظر لهذه المعاني التي لأجلها خلق الله الخليقة، وأن نعلم أن الشريعة إنما جاءت وقامت علىٰ تحقيق مصالح العباد وتكثيرها، ودرء المفاسد عنهم وتقليلها.

مصالح المعاش والمعاد ودرء مفاسد المعاش والمعاد، أن يفهم المسلم أن الشريعة منظومة متكاملة .

إذا قرأ أحد الإسلام قراءة مجزوءة يستطيع أن يثير شبهة، يقول: الإسلام دين دموي يقطع اليد، الإسلام يقطع الرِّجل، الإسلام يقطع الرأس، الإسلام يعاقب .

هذه الشنشنة التي نسمعها دائما ولا نجد شبها إلا علىٰ قضايا مركزة، الإسلام يعطي المرأة نصف الميراث الإسلام ما جعل للمرأة إرادة في كذا، هي قضايا مجزوءة إذا أُخِذَت باستقلالها دون النظر الىٰ منظومة التشريع ونظام الله في تشريعه قد تثير شبهة عند بعض الناس أو السفهاء.

ولكن اذا عرفنا الشريعة علىٰ وجه كليّ عام، وعرفنا مقاصد التشريع والحكم والعلل والمعاني الغائية ؛ سنفهم ما في الإسلام من معاني وقيم ورحمة وإحسان وكمال، وما فيه من خصائص.

فالقيم التي مصدرها الإسلام، يُمكن تقسيمها علىٰ النحو التالي:

١- **قيم عليا** : هي القيم الكبرىٰ التي يسمو بها الإنسان ويرتفع مستواه علىٰ سائر الخلق، مثل :

قيمة الحق والعبودية والعدل والإحسان والحكمة .

٢- **والنوع الثاني من القيم : قيم حضارية** : وهي القيم التي قامت عليها حضارة الأمة، كالاستخلاف والمسئولية والحرية والعمل والمساواة والقوة والأمن والسلام .

٣- **وعندنا أيضًا قيم خُلُقية** : ترتبط بجانب الأخلاق وتعتني بإبراز محاسن صورة المسلم، منها : الفضيلة ومنها الأمانة والصدق والأخوة وما شابه .

ولا بد أن نعلم هنا -أيها الأحبة- أن منظومة القيم في الإسلام إنما تقوم علىٰ أسس :

أولها : الأساس الاعتقادي : إذا كان الإنسان لا يعرف أنَّ له معادًا وعرضًا علىٰ الله وسؤالًا؛ فإنه سيمتنع عن كثير من الخير ويفعل كثيرًا من الشر .

لكن إذا استقر واستوطن قلب المؤمن أو قلب البشري والإنسي أن له حياة أخرىٰ، فإن إيمانه بهذه الحياة يحبسه عن شر كثير ويحمله علىٰ خير كثير.

فهذا الأساس الاعتقادي إنّما يقوم علىٰ -الإيمان بالله عز وجل ووجوده

وإحسان خلقه وتمام خلقه-.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾[ق:١٦].

أيضًا تقوم هذه القيم في الإسلام علىٰ :

الواقعية والعملية والعلمية : القيم في الإسلام ليست تنظيرًا، ما هي شعارات.

اليوم يُقال: إنسانية إنسانية، ويعطونك شعارات ومحاضرات وفيديوهات عن الإنسانية، لكن التفت إلىٰ أي موطن مِن مواطن الصراع ترَىٰ ما حال الإنسانية، وكيف تضيع كل تلك الشعارات.

من الذي يقتلني في أفغانستان؟ من؟ أليس أخي الإنسان علىٰ ما يزعمون؟!! من الذي سلب خيرات بلادي وانتهك حرمتي وعرضي؟ من؟ أليس أخي الإنسان كما يزعمون ؟ !!!

من الذي يتسلط علينا ويمنعنا من ديننا ويمكر بأمتنا ؟

أليس أخي الإنسان كما يزعمون ؟

ولذلك الإسلام في قِيَمِه واقعيٌّ، ليس شِعاريًّا.

لما يقول الإسلام: (عدل)، ترىٰ قيمة العدل موجودة في كل جزئيات الشريعة، ولما يقول الإسلام: (رحمة)، ترىٰ قيمة الرحمة موجودة في كل

جزئيات الشريعة، حتىٰ فيما كان ظاهره الشدة.

لماذا جعل الإسلام قانونًا كاملًا للعقوبات؟

وهذه الأحكام الشرعية التي تقوم عليها مسائل العقوبات في الشريعة ، لم جعلها الإسلام واعتنىٰ بها؟

أنا أعطيك مثالًا صغيرًا أُقَرِّب لك الصورة: لو أن أحدنا -أسأل الله أن يحفظكم ويعافيكم جميعا وأزواجنا وذرياتنا وأهالينا ومن أحبنا فيه وأحببناه فيه - لو أن أحدنا قام إلىٰ طبيب، قال له : يا دكتور يدي تؤلمني، نظر الطبيب في يده فقال الطبيب :

يجب أن أبتُر يدك، إن لم نبتر يدك أصاب الفساد سائر البدن .

ماذا سيقول هذا الرجل للطبيب؟ جزاك الله خيرًا لأنّك حفظت لي سائر البدن، فسيقول :

الطبيب صاحب رحمة، رحمة الطبيب جعلته يقطع هذه اليد، لو لم يكن هناك نظام عقوبات صحيح لن نستطيع أن نحفظ مجتمعات المسلمين .

إخواني! انظروا إلىٰ الزنا، اليوم بعض المسلمين ينظر إلىٰ الزنا إلىٰ أنه ليس جريمة، اليوم بعض المسلمين ينظر إلىٰ الربا أنه ليس جريمة، الخمر ليس جريمة، لماذا؟ اليوم هتك الأعراض، وقذف المحصنات، وهتك الأموال، والظلم، والزور، والميل علىٰ المسلمين، والفعل الباطل، وأذية الجار، وأكل مال اليتيم وأكل مال الرحم في الميراث.

سبب ذلك كله: أنه لا توجد عقوبات تردع علىٰ الوجه الصحيح فتكون العقوبة مناسبة لحجم فساد تلك الجريمة، وهذا لا يكون إلا ممَّن له الخلق والأمر.

فالإسلام حفظ أمته ومجتمعه بإيقاع العقوبة علىٰ بعض الأفراد.

أسألك بالله: أليست هذه رحمة وإن كان غلافها عقوبة ؟؟

الإسلام رحمته ظاهرة وقيَمه بينة في كل جزئية، وقيم الإحسان وقيم الحرية المنضبطة غير المنفلتة.

الحرية في مفهوم الإنسانية الفرج والبدن -أنا حرّ أفعل ما أشاء!!- يا أخي تفعل ما تشاء فيم ؟ أنا حر في بدني . هكذا تصور الحرية عند القوم فقط، والله المستعان.

أيضًا تقوم هذه القيم في الإسلام علىٰ :

الأساس الإنساني: فإن البشرية روحية سماوية ومادية أرضية . الله خلق الإنسان مكون من الأمرين.

قال الله تعالىٰ :﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾[السجدة:٩] جلّ في علاه.

سواه من ماذا ؟ من طين.

هذه المادة الأرضية وهذه المادة الأرضية هي التي تتكون منها الغرائز والطبائع . ثم ماذا ؟ نفخ فيه من روحه، هذه المادة السماوية، الروح

السماوية، هذه المادة السماوية من غَلَّبَها نجا، ومن غلَّب المادة الأرضية هلك، والإسلام يوازن بين الأمرين ويحسن التغليب بينهما، قيم الإسلام تفعل ذلك .

أيضًا تقوم القيم في الإسلام علىٰ :

أساس المسئولية : وذلك الذي يعرف في الشريعة بالتكليف، فالإنسان له إرادة حرة، قادر علىٰ التنفيذ مختار في ذلك، أصبح محل المسئولية في الشريعة لا أحد يتحمل مسئولية إلا أن يكون قاصدًا مختارًا عالمًا وما شابه .

بالمقابل إخواني، حضارة القوم - حضارة الغرب - التي فتنت الناس.

قيمها علىٰ ماذا تقوم ؟

علىٰ أيش تقوم القيم عند الغرب؟ ماذا تتصور؟ هل تقوم علىٰ الإنسانية كما يزعمون؟ هل تقوم علىٰ العدل والرحمة والإحسان والحكمة ؟

لا والله، لا والله وأقسم بهذا حتىٰ أقابل ربي .

علىٰ ماذا تقوم ؟ قالوا : تقوم علىٰ أركان أربعة:

الأولىٰ : تقوم علىٰ العقل : طبعًا العقل البشري عاجز قاصر، لولا أن الله -عزوجلّ- يسر للعقل أسبابًا ما استطاع العقل أن يدرك ما أدركه، وسيبقىٰ العقل قاصرًا في مقابل الشريعة، ولذلك ضخموا العقل فأنزلوه منزلة فوق ما أعطاه الله إياها .

الله جعل العقل مناط التكليف، ومادام العقل مناط التكليف، أنت تُكَلَّف، فلابد للعقل أن يعيش تحت قبة الشرع والوحي .

لا ينبغي أن تعطي العقل غروره؛ لأنه إذا انطلق في غروره أفسد الدنيا كما نرىٰ.

الثانية : المنفعة واللذة : مناط القيم عندهم علىٰ المنفعة واللذة، والمنفعة الفردية مقدمة علىٰ العامة في كثير من صورها.

وأخيرًا -أي: الثالثة- علىٰ المادة: فيقولون: نريد أن تفسر لنا عذاب القبر تفسيرًا ماديًّا؟

قلت له : أنا لا أحتاج أفسرلك تفسيرًا ماديًّا، أنت تحتاج تفسيرًا ماديًّا؛ لأنك ارتبطت بالمادة وجعلت المادة أصل كل شيء.

نحن أصل كل شيء عندنا الوحي، ولله الحمد والفضل والمنة.

قيم الإسلام أيها الأحبة قيم عظيمة، من هذه القيم : قيمة العدل، قيمة الرحمة.

أنا أسأل مسلمًا يسمع الله - جلّ في علاه- يقول له : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه:٥].

(العرش) في تعريفه عند أهل اللغة ما هو ؟ كرسي الملك، صح ؟

والذي يناسب كرسي الملك أن نقول ماذا ؟ (الجبار علىٰ العرش استوىٰ)،

(الملك علىٰ العرش استوىٰ)، (القوي علىٰ العرش استوىٰ)، أليس كذلك ؟

لايناسب الملك وعظمته أن نقرنه بالرحمة.

قال علماؤنا : لم استوىٰ الله علىٰ العرش بصفة الرحمة ؟

أفاد ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «حتىٰ يعلم الخلق جميعا أن الله استوىٰ علىٰ أعظم مخلوقاته بأوسع صفاته»، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

فاستوىٰ علىٰ أعظم المخلوقات وهو العرش، بأوسع الصفات وهي الرحمة، حتىٰ يعلم العالَمون أن الله لا يريد لهم هلاكًا ولا عذابًا .

افتتح الله كتابه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثم ثنّىٰ بماذا ؟

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ العالمين أجمعين، ثم أتبعها بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وكأنه يقول : ليعلم العالمون أني ربهم وأني بهم رحمن . فإذا استقرّ هذا في نفوس الناس سيستقر أبدًا أنّ الشريعة قائمة علىٰ الرحمة.

والعدل، عدل في الولايات، عدل في القضاء، حتىٰ عدل في التوحيد، عدل في كل شيء.

وتعرفون كلكم قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ..﴾، كما قال الإمام الحسن البصري قال :

(أجمع آية في كتاب الله ما تركت خيرا إلا ذكرته وإلا شملته، ولا شراً إلا

شملته قول الله تعالىٰ :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ ...﴾ [النحل:٩٠].

الإمام العز بن عبد السلام يقول: وأجمعُ آية في القرآن للحث علىٰ المصالح كلها، والزجر عن المفاسد بأسرها، أجمع آية في القرآن للحث علىٰ المصالح كلها، والزجر عن المفاسد- كلها - بأسرها، قال قول الله تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[النحل:٩٠].

فإن الألف واللام في العدل والإحسان ؛ للعموم والاستغراق، فلايبقىٰ من دِقِّ العدل وجِلِّه شيء إلا اندرج في قوله :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾، ولا يبقىٰ من دِقِّ الإحسان وجِلِّه شيء إلا اندرج في أمره بالإحسان .

والعدل: هو التسوية والإنصاف .

والإحسان: إما جلب مصلحة أو درء مفسدة .

وهنا أختم بذِكر فائدة عند شيخي شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه رحمات ربي وقدس الله روحه- الذي يُوصف اليوم بِشيخ التشدد والتزمُّت والتعصب والتطرف والإرهاب وشيخ الأصولية، مع أن العجيب أن المعاصرين لابن تيمية كانوا يتهمونه بماذا؟ بالتساهل، لأن ابن تيمية أذن للحائض أن تطوف في البيت، ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يأذن بقراءة القرآن للحائض، ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- في الطلاق المعلق يقول لا يقع طلاقًا، يقول: يقع يمينًا. فجُملة آراء

شيخ الإسلام يقولون عنها: تساهَلَ.

بل مما قرَّرَهُ صاحب «موسوعة ابن تيمية» وهو محمد روَّاس قلعجي -رَحِمَهُ اللَّهُ- وهو خارج المدرسة التيمية، جئت بشهادته لأنه ليس من أبناء مدرسة شيخ الإسلام . يقول -اسمع ماذا يقول-:

(إنَّني لأقطع أنّ ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- أكثر فقهاء الإسلام تيسيرًا).

تأمَّلوا معي: كيف ربط ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- قيمة العدل بالتوحيد بالدين.

اسمع ماذا يقول الإمام ابن تيمية -رحمة الله عليه- دقِّق معي وبها أختم، دقِّق في العبارة وافهمها وانظر إلىٰ القيم في شريعة الإسلام، حين تدخل في كل جزئياتها.

يقول ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (وإذا كان التوحيد أصل صلاح الناس والإشراك أصل فسادهم، والقسط مقرون بالتوحيد إذ التوحيد أصل العدل وإرادة العلوّ).

قال: (مقرونة بالفساد هو أصل الظلم).

كيف يعني يا إخواني إرادة العلو؟

ماذا يعني ابن تيمية ؟

اسمع التصوير منه -رَحِمَهُ اللَّهُ-، يقول : (فهذا مع هذا، وهذا مع هذا كالملزوزين في قرن، فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل،

ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات وهو البَرُّ وهو العدل، والذنوب التي فيها تفريط وعدوان في حقوق الله و حقوق عباده هي فساد وظلم، ولهذا سمي قطاع الطريق مفسدين وكانت عقوبته حقا لله تعالىٰ لاجتماع الوصفين ...).

اسمع الآن الذي أريده هنا المقابلة، التوحيد أصل العدل، مالذي يقابل التوحيد ؟ ماذا قال ؟ إرادة العلوِّ .

ماذا يقصد ابن تيمية بإرادة العلو؟

اسمع ماذا يقول : (والذي يريد العلو علىٰ غيره من أبناء جنسه) أنا أريد العلو عليك أو أنت تريد العلو علي . (والذي يريد العلو علىٰ غيره من أبناء جنسه هو ظالم له باغ لابد أن يفعل الظلم، إذ ليس كونك عاليًا عليه أولىٰ من كونه عاليًا عليك).

لماذا أنت تكون إله ؟ لماذا ما أنا أكون لك إله ؟ يقول ابن تيمية: هذا منشأ الظلم والاستبداد .

ثم يقول: (وكلاكما من جنس واحد، فالقسط والعدل أن يكونوا إخوة) لا أن يكون أحدهم ربًّا والثاني عابدًا -معبود وعابد - قال: (أن يكونوا إخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك، والتوحيد وإن كان أصل الصلاح فهو أعظم العدل وأيّ عدل أن تكون عبوديتك لمن اتصف بالكمال المطلق ؟).

أيّ عدل أعظم من هذا؟؟

قال الله تعالىٰ : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ...﴾ [آل عمران:٦٤] ماذا نقول لهم ؟

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ ارفع صوتك واملأ الدنيا وقل لكل العالم ﴿فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

يارب إنا لك مسلمين فيارب اقبلنا وارض عنا واقبلنا عبيدا لك، وأكرمنا اللهم بهذا الدين يارب ياولي الإسلام وأهله مسِّكنا الإسلام حتىٰ نلقاك عليه، يا مقلب القلوب ثبِّت قلوبنا علىٰ دينك، يارب كما أكرمتنا فخلقتنا مسلمين وأحييتنا علىٰ الإسلام يارب لا تمتنا علىٰ سواه إنك جواد كريم ورحمن رحيم.

اللهم لك الحمد حتىٰ ترضىٰ أن أكرمتنا بهذا الدين الحنيف وهذه الشريعة الكريمة الكاملة ولله الحمد والفضل والمنة، وأصلي وأسلم علىٰ محمد وصحبه.

المقدم

جَزَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَخَانَا الشَّيْخَ الدُّكتورَ حمزةَ المجالي خيرَ الجَزَاءِ، وَنَفَعَ بِهِ المسلمِينَ .

أَيُّهَا الحُضُورُ الكريم :

لَقَدْ أَرْسَىٰ النَّبِيُّ -صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ- أسمىٰ مَقَاصِدِ الإسلامِ وأنبلَ غاياتِهِ عَبْرَ شُعْبَتَيْنِ وَرَكِيزَتَيْنِ، وَإِنَّ قَبُولَ العملِ عِنْدَ اللهِ -جلَّ في عُلاهُ- مَرْهُونٌ بِتَحْقِيقِهِمَا، وهُمَا :

أَوَّلًا : التَّوحيدُ الخالصُ وغرسُ مبادِئِهِ في قلوب الناس مع نبذ الإشراك وَدَرَنِ الجاهليَّة الذي تسربَلَهُ النَّاسُ قبلَ مَبْعَثِهِ .

ثانيًا : وجوبُ اتباعِ هَدْيِهِ، واقتفاءِ أثرِهِ، وتوقيرِ سُنَّتِهِ، وتعظيمِ أَمْرِهِ .

وَإِنَّ حُسْنَ المتابَعَةِ في العقيدة والمنهج لَيُفْسِرُ عَنْ صورة الإسلام الحقّ؛ إِذْ ذاكَ أمارَةُ التَّوفيقِ والتَّسْديدِ، والسلامَةِ من آفةِ الهَوَىٰ وَالبِدْعَةِ والتَّخَبُّطِ، وإِسْلَامِ النَّفْسِ طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً لِبَارِيهَا .

وَلَقَدْ قدَّمَ الصَّحابةُ ﷺ خيرَ مثلٍ في حُسنِ الاتّباعِ، فَجِيلُهُم ليس كَمِثْلِهِ جيلٌ، وَسَبِيلُهُم يمثّلُ الصورةَ العمليةَ لِتَطبيقِ تَعَالِيمِ رسالةِ الإسلامِ العَظِيم؛ فهم الراضون المرضيُّون، قال الحقُّ -جلَّ وعلا-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[التوبة:١٠٠].

عَظَّموا رسولَ الله ﷺ وسنَّتَهُ، وَاقْتَفَوْا أَثَرَهُ وَنَصَرُوهُ، وَفَدَوْهُ بأَرْوَاحِهِمْ، حتىٰ كان منهم من يقولُ: «فداك أبي وأمّي يا رسول الله، نحري دون نحرك».

نِعْمَ التَّوقيرُ توقيرُهُم، ونِعْمَ الإجلَالُ إجلَالُهُم، ما عرفوا التَّكلُّفَ ولا الغُلُوَّ ولا المحاباةَ ولا الاستهانةَ بالشَّرعِ، إنَّمَا كانوا إذا أُمِرُوا بشيءٍ ابْتَدَرُوهُ، وَلَقَدْ سألَ رجلٌ ابنَ عمرَ عن استلامِ الحَجَرِ، فقال له: رأيتُ النبي ﷺ يستلِمُهُ ويُقَبِّلُهُ، فقال له الرجل: أرأيتَ إنْ غُلبتُ عليه؟ أرأيتَ إنْ زوحمتُ؟ فقال له ابنُ عمرَ: «اجعل (أرأيتَ) في اليمن، رأيتُ النبيَّ ﷺ يستلمه ويقبله».

وفي «الصحيحين» لما جاء عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه إلىٰ الحجر الأسود قبَّلهُ، ثم قال: «والله إني لأعلم أنَّك حَجرٌ، لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسولَ الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

قال الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ -رحمَهُ الله تعالىٰ-: «وفي قولِ عمرَ هَذَا التَّسْلِيمُ للشارع في أمور الدين، وحسنُ الاتباع فيما لم يَكشِفْ عن معانيها، وهو قاعِدَةٌ عظيمةٌ في اتباعِ النَّبيّ ﷺ فيما يفعله، ولو لم يُعلمُ الحكمةُ فيه».

أيُّهَا الأحبَّةُ:

متىٰ ثبتت الأصول فِي القلوب؛ نطقت الألسُنُ بالفروعِ؛ فَصدْقُ الاعتمادِ علىٰ الله -تعالىٰ- وتفويضُ الأمر إليهِ وحسنُ التَّوكُّلِ عليهِ وإخلاصُ النيَّةِ والرَّغبةُ في إرضائِهِ هُوَ البَاعِثُ علىٰ القِيَامِ بالطَّاعَةِ واستسلامِ الجوارح، ويكون العبدُ -حينئذٍ- قد ذاق طعمَ الإيمان؛ لأنَّهُ قد رضي باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ نبيًّا ورسولًا.

وَأفسح المجال الآن للشيخ الدكتور عبدالباسِط الغريب -حفظه الله تعالىٰ- ؛ ليُكلّمنا عن (أثر الإسلام علىٰ الأفرادِ والمجتمعاتِ والأُمَمِ الأُخرَىٰ)، فلْيتفضَّل مشكورًا .

المحور الرابع
أثر الإسلام على الأفراد والمجتمعات والأمم الأخرى

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الباسط بن يوسف الغريب
-حفظه الله-

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فهذا هو المحور الرابع والذي هو بعنوان أثر الإسلام علىٰ الأفراد والأمم.

مما لا شك فيه أن الإسلام كان له الأثر الكبير علىٰ الأفراد والمجتمعات الإسلامية بل والأمم والمجتمعات الأخرىٰ، وقد وصف النبي ﷺ حال الناس قبل الإسلام، ففي «صحيح مسلم» من حديث عياض بنِ حِمَارٍ المُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**».

ومن أراد أن يتعرف علىٰ حال الناس قبل الإسلام فليقرأ كما قال بعض السلف الآيات من سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥١-١٥٣].

- وتأمل قول جعفر بن أبي طالب بين يدي النجاشي: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ: نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ، حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ. وَنَهَانَا عَنْ: الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ. وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ. قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ»[1].

◻ حاجة الناس إلىٰ الإسلام ومعرفة ما جاء به النبي ﷺ:

قال شيخ الإسلام - وهو يتحدث عن حاجة البشرية إلىٰ الرسل وما جاؤوا به من شريعة الإسلام- : «فَالنُّفُوسُ أَحْوَجُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ مِنْهَا إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ فَإِنَّ هَذَا إِذَا فَاتَ حَصَلَ الْمَوْتُ فِي الدُّنْيَا. وَذَاكَ إِذَا فَاتَ حَصَلَ الْعَذَابُ. فَحَقَّ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ بَذْلُ جُهْدِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ فِي مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ وَطَاعَتِهِ إِذْ هَذَا طَرِيقُ النَّجَاةِ مِنْ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَالسَّعَادَةِ فِي دَارِ النَّعِيمِ»[2].

---

(١) أحمد في «مسنده» (٣٧/ ١٧٣).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ».

الإسلام جاء بتلبية كل احتياجات العباد الروحية والبدنية وفي كل نواحي الحياة.

«فلكل حضارة من الحضارات الإنسانية أسس فكرية ونفسية كانت لها هي القوة الدافعة، والموجهة، والمحددة لخط سيرها.

أولًا: - فمثلًا - كانت الأسس الفكرية عند اليونان الإغريق قائمة علىٰ تمجيد العقل. ولذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون علومًا فلسفية ورياضية ونفسية وطبية، وفنونًا جمالية مختلفة.

ثانيًا: وكانت الأسس الفكرية عند الرومان قائمة علىٰ تمجيد القوة، والرغبة ببسط السلطان الروماني علىٰ الشعوب، لذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون إعداد أجساد قوية، وجيوش متقنة البناء، حسنة الاستعدادات والتدريبات الحربية، وأورثتهم هذه القوة سلطانًا ممتدًا في الأرض علىٰ شعوب كثيرة، غلبوها واستعمروها .

ثالثًا: وكانت الأسس الفكرية عند الفرس قائمة علىٰ تمجيد اللذة الجسدية، والسلطان، والقوة الحربية، ولذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون قصورًا فخمة، ومجالات كثيرة للترف المفرط، وجيوشًا حربية ذات بأس، بسطت سلطانهم علىٰ شعوب كثيرة غلبوها واستعمروها، واستغلوا خيراتها.

رابعًا: وكانت الأسس الفكرية عند الهنود قائمة على تمجيد القوى الروحية وتنميتها بقهر مطالب الجسد وكبت غرائزه، ولذلك كانت مظاهر حضارتهم ذات صلة وثيقة بهذه الأسس؛ إذ أثمرت لهم خلال قرون مجموعة كبيرة من التعاليم الروحية التي أخذت بتطاول الأمد صبغة ملل ونحل وديانات، ووجهتهم للتعلق بالعلوم الروحانية المختلفة، كالسحر، وفنون الحيلة الخادعة للحواس، التي تعتمد على التلاعب بها، والتأثير على النفوس من ورائها، ومنحتهم مهارات مختلفة في التأثير على الأحياء الشرسة، فكثر فيهم هواة الثعابين والحيات والعقارب، ونحو ذلك من الهوام السامة المؤذية.

سادسًا: وأما الحضارة الإسلامية فهي الحضارة الوحيدة التي تشتمل أسسها الفكرية والنفسية على حاجات الحياة كلها، من مختلف جوانبها الفكرية والروحية والنفسية والجسدية والمادية، الفردية والاجتماعية، ومن جميع المجالات العلمية والعملية»[1].

وتأكيد هذا المعنى: في قوله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] وقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[القصص:٧٧].

---

(١) من كتاب: «الحضارة الإسلامية»، لعبدالرحمن حبنكة.

وأما أثر الإسلام على الأفراد والمجتمعات الإسلامية وعلى الأمم الأخرى فهو كما يلي :

أثر الإسلام على الأفراد

تأمل أن الأصل في الإنسان كما ذكر شيخ الإسلام الظلم والجهل ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب:٧٢] فالأصل في الإنسان ليس العدالة ولكن الظلم والجهل .

ولابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- كلام عجيب في وصف النفس البشرية فقال-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «سُبْحَانَ الله!! فِي النَّفس كِبر إِبْلِيس، وحسد قابيل، وعتو عَاد، وطغيان ثَمُود، وجرأة نمْرُود، واستطالة فِرْعَوْن، وبغي قَارون، وقحة هامان، وهوى بلعام، وحيل أَصْحَاب السبت، وتمرد الوليد، وَجَهل أبي جهل.

وفيهَا من أَخْلَاق الْبَهَائِم: حرص الْغُرَاب، وشره الْكَلْب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجعل، وعقوق الضَّب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الْأسد، وفسق الفَأرَة، وخبث الْحَيَّة، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثَّعْلَب، وخفة الفراش، ونوم الضبع، غير أَن الرياضة والمجاهدة تذْهب ذَلِك.

فَمن استرسل مَعَ طبعه فَهُوَ من هَذَا الْجند وَلَا تصلح سلْعَته لعقد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾[التوبة:١١١]» [1].

---

(١) «الفوائد».

كيف هذب الإسلام هذه النفس البشرية، وزكاها وأصلحها وهداها؟

◻ تزكية النفس:

- **تزكية النفس بأعمال القلوب**: بالإخلاص واليقين والخوف والخشية والمحبة والذل والخضوع وغيرها من أعمال القلوب.

- **ومن تزكية القلب**: طهارته: من الغل والحقد والحسد والكبر والعجب، فالقلب هو مكان النية والقصد والإرادة وهو المحرك لبقية الأعضاء وبصلاحه صلاح القول والعمل والاعتقاد والسلوك، ولذلك قال النبي ﷺ: **«أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»**.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **«كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»**، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: **«هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لا إِثْمَ فِيهِ، وَلا بَغْيَ، وَلا غِلَّ، وَلا حَسَدَ»**.

- تزكية النفس بالأخلاق الفاضلة والتقوى والبر والصلة والإحسان والعفو والصدق والأمانة وغيرها من الصفات الحميدة .

- **حسن الخلق، والارتباط بين العقيدة والأخلاق:**

لشيخ الإسلام كلام جميل في بيان ارتباط الأخلاق والسلوك بالعقيدة، وبمقدار ما في القلب من صحة الاعتقاد والإخلاص واليقين والخشية والهيبة

وتعظيم الرب لا بد أن يظهر في أخلاق الإنسان وسلوكه ، ودليل ذلك : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[إبراهيم:٢٥].

فثمرة كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ثمرة طيبة تُؤتِي أُكُلَها في كلِّ حين بإذن ربها، والمؤمن كذلك لا يزال يُرفع له عمله الصالح في كل وقت حتىٰ بعد مماته.

وإذا تمكنت عقيدة التوحيد في نفس الإنسان أثمرت الفضائل الإنسانية العليا، فتسمو النفس عن الماديات الوضيعة، وتتَّجه نحو الخير والنبل، والنزاهة والشرف، ويتخلق صاحبُها بالأخلاق الطيبة والصفات الجليلة .

فسوء الخُلق دليل علىٰ ضعف الإيمان؛ ولذلك ربط الإسلام بين الإيمان والسلوك ربطًا قويًّا، ونلاحظ ذلك في نصوص كثيرة مثبتة في الكتاب والسنة.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**مَن كان يُؤمِنُ بالله واليوم الآخر فليُكرِمْ ضيفه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُلْ خيرًا أو ليصمت**»(١).

وقوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم أخلاقًا**»(٢).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحِّشًا،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود.

وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا». رواه البخاري.

- وتزكية النفس بإصلاح اللسان بالكلمة الطيبة وبالسلام وبالإصلاح بين الناس والنهي عن الفحش والبذاءة وغيرها من كلام اللغو.

- وتزكية الجوارح بالأعمال الصالحة وكف الظلم والأذىٰ وإعمارها بالطاعة والعبادة.

قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩-١٠]، وقال مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ. وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾[النازعات:١٨-١٩].

□ من أثر الإسلام علىٰ الأفراد كذلك:

- **العزّة**: وبمقدار تمسكه بهذا الدين ينال من العزة والكرامة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨].

- **الطمأنينة والسكينة**: فالمسلم الذي يملأ قلبه الإيمان، يشعر بالهدوء والاستقرار النفسي، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد:٢٨].

- **الارتباط بين الإيمان والسعادة**: فالسعادة والإيمان قرينان، فالإنسان بدون إيمان يجتمع عليه: الهم والحزن والأرق والسّهر، فالإنسان بغير إيمان مخلوق ضعيف، إذا أصابه شر جزع، وأصابه الهلع، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾[المعارج:١٩-٢٢].

- **الإيمان والأمن والأمان النفسي**: الإيمان يقود إلىٰ الطمأنينة، والسكينة والأمان، قال تعالىٰ أيضًا: ﴿هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الفتح:٤].

- **الحياة الطيبة مترتبة علىٰ الإيمان** : قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]، وقال تعالىٰ عن من أعرض عن دينه وشريعته: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[طه:١٢٤].

وقال تعالىٰ عن الأمن والأمان: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢].

- **التمكين والغلبة في الأرض**: قال تعالىٰ : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾[النور:٥٥].

- **ضبط سلوك الإنسان وكفه عن الظلم**: فالإسلام جعل الإنسان مسئولًا عن تصرفاته ، و جعل من حقوق الأخوة منعه من ظلم الغير .

فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» . فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَمنعهُ من الظُّلم فَذَاك نصرك إِيَّاه**» . مُتَّفق عَلَيْهِ.

- **الأمر بالعدل والأخذ به حتىٰ من النفس**: قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء:١٣٥].

- إخراج المسلم من ظلمات الجهل إلىٰ نور المعرفة: قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ . يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة:١٥-١٦].

- العصمة من الضلال والانحراف: ففي الحديث المرفوع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرَّقا حتىٰ يَرِدَا عليَّ الحوض».

- جعل الإسلام لأفراده وأتباعه كرامة وقيمة، فخلقه في أحسن تقويم واستخلفه في الأرض: قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء:٧٠].

□ أثر الإسلام علىٰ المجتمع المسلم:

وكما أن للإسلام أثرًا علىٰ الفرد فكذلك له الأثر الأكبر علىٰ المجتمع المسلم، ومن ذلك:

- **الاجتماع والتماسك وعدم الفرقة:** قال تعالىٰ : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال:٦٣].

- **استقرار الأمة متوقف علىٰ تمسكها بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ:** وقد وصف القرآن الأثر الواضح للإسلام علىٰ الصحابة لما تمسكوا به ، قال تعالىٰ : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[الأنفال:٢٦].

- **الرفعة والتمكين والعزة لهذه الأمة:** قَالَ تَعَالَىٰ إِخْبَارًا عَنْ رُسُلِهِ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم:١٣-١٤] وقال تعالىٰ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[المجادلة:٢١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[الأنبياء:١٠٥].

- **التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم مرتبط بالإيمان:** فالأمر بإطعام المسكين مثلا مرتبط بالإيمان باليوم الآخر؛ قال تعالىٰ : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ .فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ .فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ .الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ .الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾

[الماعون:١-٧].

- **معالجة الجريمة:** فالإسلام في تشريعاته هذَّب سلوك الناس ، ووضع القوانين والأسس التي تمنع الجريمة في المجتمع المسلم ، ومن ذلك: أن الله شرع الحدود والعقوبات ، وأرسىٰ نظام القصاص والذي سماه حياة؛ لأنه يدفع طلب الانتقام والإفساد في الأرض قال تعالىٰ : ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٧٩].

كما لم يكتف الإسلام بأسلوب العقوبة بل لجأ إلىٰ أسلوب الإقناع العقلي ، وتأمل كيف منع النبي ﷺ من فاحشة الزنا ، بهذا الأسلوب ففي الحديث : عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتىً شابًّا أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: «**ادنه**»، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: «**أتحبه لأمك؟**»، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك؟**»، قال: لا والله، يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال: «**أفتحبه لأختك؟**»، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أفتحبه لعمتك؟**»، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أفتحبه لخالتك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللَّهمّ اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحَصِّنْ فرْجَه**»، فلم يكن بعد ذلك الفتىٰ يلتفت إلىٰ شيء[1].

---

(١) رواه أحمد.

آثار عامة للإسلام على الأفراد والمجتمعات من خلال أحكامه وتشريعاته

- تأمل معي: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٦٣] فقد استفاد المسلم من عقيدة التوحيد **والاعتقاد بعبودية الله**: الاستقلال والحرية، فليس لأحدٍ عليه سلطان، فالذل والانكسار الحقيقي لله تعالىٰ، والخشية والخوف والإنابة له.

- **ومن توحيد الربوبية**: ومن اعتقاده أن لا رزاق ولا خالق ولا محيي ولا مميت إلَّا الله استفاد صفات العزة و الأنفة والعفّة؛ ففي الاعتقاد -مثلًا- أنه لا محيي ولا مميت إلا الله يستفيد الشجاعة وعدم الخوف من الموت، فلا الإقدام يعجل الموت ولا الإحجام يؤخره.

- **ومن عقيدة الإيمان باليوم الآخر**: كان الوازع لطلب الثواب من الله والخوف من عقابه، فهو يعلم أن الله خلقه لغاية عظيمة وهي الاستخلاف في الأرض، قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وأنه مجزي علىٰ عمله الذي قدمه في الدنيا قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤]، فكان هذا الاعتقاد من دوافع الاستعداد لهذا الحساب وهذا الجزاء.

- **والإيمان بالملائكة**: يوجب الاعتقاد أن الله له الملك الأعظم والسلطان

الأكبر وأنه غني عن عباده ، وأن له ملائكة كرامًا يسبحونه الليل والنهار لا يفتُرون، ولا يعصونه بمقدار طرفة عين؛ فيكون هذا دافعا للإنسان ليقتدي بفعلهم ويتأسىٰ بهم . ولهذا جعل الإسلام الإيمان بالملائكة ركيزة من ركائز الدين. قال اللّه تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥].

- **والإيمان بالقرآن وبما سبقه من الكتب التي أنزلت علىٰ الرسل**: يَتَبَيَّنُ للمسلم حقيقة الشرائع وما أراده الله من عباده، ويَتَبَيَّنُ المنهج والسلوك والعقيدة وعلاقة الإنسان بربه، وعلاقة العباد مع بعضهم البعض.

- ولِفرائض الإسلام أكبر الأثر علىٰ المسلمين التي ربطت بين قلوبهم ووحَّدت صفوفهم، وآلفت بينهم كالصلاة والصيام والزكاة والحجّ.

- **فالصلاة**: لها الأثر الأكبر في صلاح الفرد والمجتمع؛ فهي عنوان الصلة بين الله والعبد، وهي ميثاق الترابط والتلاحم بين المسلمين ، وهي دليل علىٰ سمو دين الإسلام الذي ساوىٰ بين العباد؛ فوقوفهم دون فارق أو تمييز في صف واحد متجهين إلىٰ قبلة واحدة علىٰ اختلاف أجناسهم وألوانهم دليل علىٰ ذلك .

- **وشريعة الصوم**: فيها تصفية للنفوس وتطهير للقلوب، وهي طريقة عملية لغرس الرحمة في النفس وتقوية الإرادة، وعلاج نافع لكثير من الأمراض النفسية والاجتماعية كالكبر والأنانية والتمرد والانغماس في الشهوات .

- **وشريعة الزكاة**: فيها تطهير للنفس، وتزكية لها من الشح والبخل وحب الذات ، وفيها تتجلىٰ أعلىٰ صور الرحمة والرأفة والشعور بالمسؤولية اتجاه إخوانه الفقراء والمساكين .

- **وفريضة الحج**: ذلك المجتمع الأكبر الذي يجتمع فيه المسلمون من كل مكان فيه تأكيد لعدل الإسلام ورسالته العظيمة؛ التي يتساوىٰ فيها الجميع، وتأمل ما في الحج من ذلك الاجتماع الذي يجتمع فيه الناس من المشرق والمغرب ومن أقاصي الأرض في مكان واحد ولباس واحد وذكر واحد شعارهم فيه التوحيد ومقصودهم فيه التحميد والتمجيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

- كذلك حارب الإسلام كثيرًا من الخرافات والأوهام كالسحر والكهانة والعرافة والتنجيم . ودعا النّاس إلىٰ التفكير المنطقي والتأمل العقلي وطلب العلم والمعرفة، فحرّك العقول، وفتح الأذهان ودعا للتأمل في سرّ الوجود وإدراك حقيقته وماهيته، والنصوص التي تدعو للتأمل في مخلوقات الله كثيرة؛ قال تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٥] وقال تعالىٰ: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ . وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ . لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس:٣٧-٤٠] وقال تعالىٰ:

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾[الطارق:٥].

- أكد الإسلام أنه لا قيمة لإنسان إلاّ بعمله وسعيه وأن الإيمان والعمل الصالح سبب للحياة الطيبة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧].

- كما بين مقياس التفاضل والتمايز عند الله فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحُجرات:١٣].

- أولىٰ الإسلام العلم منزلة عظمىٰ وحث علىٰ العلم؛ ورفع من قيمة العلماء وطلبة العلم قال الله سبحانه : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزُّمَر:٩] وقال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

- حارب الإسلام منطق التقليد الأعمىٰ، وأنكر علىٰ الذين يتمسكون بالرأي، بدعوىٰ تقليد الآباء وتمجيد الأجداد : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[المائدة:١٠٤].

- **من ناحية الأخلاق**: أكد الإسلام علىٰ بعض الأخلاق التي اتصف بها العرب ، كالكرم والشجاعة والنصرة وإكرام الضيف وغير ذلك ، ولكن هذبها

لتكون حمًى للعقيدة وحصنًا للحق، وظهيرًا للخير، ووسيلة إلىٰ نصرة المظلوم، ونجدة المهضوم، وإنصاف الضعفاء، ونفع الناس، ليس لإبراز الذات والتفاخر علىٰ الغير أو أن تكون وسائل للعدوان، أو مظاهر للتكبر، أو سببًا للإفساد في الأرض وقهر الضعفاء.

فالكرم الذي دعا إليه الإسلام مثلًا هو امتثال لأمر الله وابتغاء لثوابه، فالمال مال الله، والإنسان خليفة عليه ، وهو في إنفاقه وبذله يتعبد الله بصفة الكرم والجود الذي اتصف الله به .

والشجاعة في الجاهلية كانت وسيلة للعدوان علىٰ الضعفاء، وطلبًا للفخر والاعتزاز والرفعة علىٰ الآخرين . فلما جاء الإسلام وجّه الشجاعة إلىٰ نصرة الحق وحماية الدين، وإسعاف المظلومين والمضطهدين .

أثر الإسلام على الأمم الأخرى
(غير الإسلامية)

فالإسلام ينطلق في تعامله مع الآخر من منطلق الرحمة والهداية والعدل، ونستطيع أن نقف علىٰ أثر الإسلام علىٰ الأمم الأخرىٰ من خلال التشريعات والأحكام والنصوص التي أرست قواعد التعامل مع غير المسلمين، والتي كان لها الأثر الأكبر في دخول كثير من الأمم في الإسلام، وهذه إشارة إلىٰ تلك القواعد والتشريعات والأحكام وقد نقلتها من كتابي: «تسامح الإسلام مع غير المسلمين».

يقول فيكتور سحاب: «لا شك أن المسيحيين المخضرمين الذين عاصروا الفتح الإسلامي هم أكثر من لمس الأمر بوضوح، إذ انتقلوا فجأة من سلطان دولة كانت تضطهدهم اضطهادًا وصفه بعض المؤرخين العصريين في أوروبا بأنه لا يشبه حتىٰ أعمال البهائم، إلىٰ سلطان دولة حافظت لهم علىٰ أديارهم وبيعهم، كما خيرتهم بين اعتناق الإسلام، والبقاء علىٰ دينهم بشرط الدخول في ذمة المسلمين، أي بشرط الانضمام إلىٰ دولة الإسلام ورفض القتال مع أعدائها، وكان (ألكيروس)- الكنيسة المصرية - متخفيًا في الصحارىٰ هربًا من المذابح البيزنطية؛ فلما جاء الفتح الإسلامي عادت الكنيسة المصرية إلىٰ حرّيّتها الكاملة علنًا، ولقد كان في الإسلام متسع للنصارىٰ لم يكن متاحًا لهم شيء منه في دولة بيزنطية، وتمتعت المذاهب

المسيحية العربية علىٰ اختلافها بعد ظهور الإسلام بالحرية التي كانت تقاتل من أجلها تحت حكم بيزنطة، ووقت كانت جميع الدول لا ترضىٰ بدين آخر داخل تخومها»[١].

ونستطيع أن نلخص هذه الأحكام والتشريعات ونلمح إليها إلماحة سريعة فيما يلي:

□ شمل الإسلام بيسره ورفقه غير المسلمين فتسامح معهم في كثير من القضايا والأحكام ومنحهم كثيرًا من الحقوق، ومِن مظاهر ذلك:

- الرحمة الواسعة للإسلام كما قال تعالىٰ عن نفسه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦].

قال العلامة السعدي[٢] -رَحِمَهُ اللَّهُ-: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾: «من العالم العلوي والسفلي، والبر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا قد وصلت إليه رحمة الله وغمره فضله وإحسانه»[٣].

وعلىٰ ذلك فقد شملت رحمة الإسلام الناس كافة حتىٰ تعدت إلىٰ

---

(١) «من يحمي المسيحيين العرب» (ص٢٦).

(٢) هو الشيخ العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي صاحب التصانيف الشهيرة وعلىٰ رأسها التفسير المسمىٰ «تيسير الكريم الرحمن»، انظر ترجمته في كتاب «صفحات من حياة علامة القصيم» للطيار.

(٣) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٣٠٥).

الدواب والبهائم والطير كما تقدم معنا.

وقال ابن بطال: «فيه الحض علىٰ استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب»[1].

ولذلك حث الإسلام علىٰ خلق الرحمة مع غير المسلمين:

أ- ففي الحديث أن النبي ﷺ أخبر أن الله لا يضع رحمته إلا علىٰ رحيم قالوا: يا رسول الله كلنا يرحم قال: ليس برحمة أحدكم صاحبه يرحم الناس كافة. والناس تعم المؤمن والكافر والصغير والكبير والذكر والأنثىٰ.

ب- رفض النبي ﷺ الدعاء علىٰ المشركين لما قيل له يا رسول الله ادع علىٰ المشركين قال: إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة. ومثال آخر ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ وبأصحابه فلما جاء الرجل وطلب السقيا لمضر دعا لهم النبي ﷺ بالرزق والمعافاه.

□ الإسلام دين هداية:

أ- حرص الإسلام علىٰ هداية الناس جميعًا وترغيبهم فيه لإنقاذهم من الضلالة إلىٰ النور، ومن عذاب الله إلىٰ رضوانه. وعليه بوب العلماء في كتبهم، فبوب البخاري في «صحيحه» (باب دعوة اليهود والنصارىٰ)، و(باب كتب

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٤٤٠).

النبي ﷺ إلىٰ ملوك الكفار يدعوهم إلىٰ الله عز وجل)، وبوب كذلك: (باب دعاء النبي ﷺ إلىٰ الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله)، وبوب كذلك (باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب أو يعلمهم الكتاب).

ب- دعوة غير المسلمين تكون باللين والحكمة والملاطفة كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[النحل:١٢٥].

قال ابن كثير: «يقول تعالىٰ آمرًا رسوله محمدًا ﷺ أن يدعو الخلق إلىٰ الله بالحكمة، وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾: أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالىٰ، وقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]: أي من احتاج منهم إلىٰ مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب»[1].

ج- **التسامح في الاعتقاد والعبادة:** قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال ابن كثير: «أي لا تكرهوا أحدًا علىٰ الدخول في دين الإسلام، فإنه بيِّن واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلىٰ أن يكره أحد علىٰ الدخول فيه. وسبب نزول الآية كما ذكر المفسرون يبين جانبًا من إعجاز هذا الدين، حيث

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٧٨١).

أن الإسلام لم يسمح للمسلمين أن يأخذوا أبناءهم الذين هودوهم صغارًا. فقد رووا عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة - قليلة النسل - فتجعل علىٰ نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده (كان يفعل ذلك نساء الأنصار في الجاهلية)، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار. فقال آباؤهم: لا ندع أبناءنا (يعنون: لا ندعهم يعتنقون اليهودية)، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[البقرة:٢٦٥]»[1].

من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية بالنسبة للذميين أن نتركهم وما يدينون؛ فلا نتعرض لهم في عقائدهم؛ فقد جاء في كتاب النبي ﷺ كما تقدم لأهل نجران: (ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله علىٰ أموالهم وأرضهم وملتهم وغايبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته).

ولما حان وقت صلاة وفد نصارىٰ نجران قاموا يصلون في مسجد النبي ﷺ فأراد الناس منعهم فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم». فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

وفي هذا يقول ابن القيم: «جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين. وفيها: تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤١٦).

أيضًا إذا كان ذلك عارضًا»[١].

وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلىٰ أهل إيلياء - بيت المقدس-: «هذا ما أعطىٰ عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون علىٰ دينهم».

ولما فتح خالد بن الوليد ﷺ الشام صالح الروم وجاء في هذا الصلح: «علىٰ أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة، وعلىٰ أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا من ليل أو نهار إلا في أوقات الصلوات، وعلىٰ أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم».

وبهذا فقد تركت البيع والكنائس في الشام لم تهدم لما جرىٰ من الصلح بين المسلمين وأهل الذمة ولم يرد ذلك الصلح علىٰ خالد بن الوليد أبو بكر ولا رده عمر ولا عثمان ولا علي -رضي الله عنهم أجمعين-[٢].

ومن الأمثلة علىٰ ذلك لما أراد السلطان العثماني سليم الأول طرد اليهود والنصارىٰ من مملكة الدولة العثمانية ليجعلها صافية إلا من الإسلام: قام في

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٦٣٨).

(٢) «الخراج» لأبي يوسف (١٤٦)، و«تسامح الغرب مع المسلمين - دراسة نقدية» (ص٦٦).

وجهه العلماء من مشايخ الدولة العثمانية، وقالوا له بلا محاباة: ليس لك علىٰ النصارىٰ واليهود إلا الجزية وليس لك أن تخرجهم عن أوطانهم؛ فيمتثل السلطان العثماني لذلك امتثالًا للشرع الشريف[١].

ومن الأمثلة المعاصرة كذلك: أن حائط المبكىٰ الذي يعتبره اليهود اليوم أقدس ذكرياتهم استعادوه في عهد السلطان سليمان القانوني - القرن العاشر الهجري - كما جاء في عدد (٢٣) ربيع الأول (١٣٨٧هـ)، الموافق ١ يوليو (١٩٦٧م) من النشرة الرسمية التي تصدرها حكومة إسرائيل في بومباي بعنوان: (أخبار من إسرائيل)؛ أن حائط المبكىٰ كان منذ زمن بعيد مختفيًا بين الأنقاض وأكداس القمامة .. فلما علم السلطان سليمان أرسل إلىٰ حاكم القدس التركي يأمره بإزالة ما عليه وتنظيف المنطقة وسمح لليهود بزيارته»[٢].

وكذلك بقاء كنائس النصارىٰ ومعابد اليهود في بلاد الشام ومصر وغيرها من بلاد المسلمين إلىٰ هذا العصر، لهو أكبر شاهد علىٰ سماحة الإسلام وعدله، وتسامحه.

◻ الوصية بأهل الذمة:

أ- حث الإسلام علىٰ الوصاة بأهل الكتاب، وعدم التعرض لهم بظلم أو أذىٰ، وقد عمل بذلك الخلفاء بوصية رسول الله ﷺ كما في وصية عمر لما

---

(١) «تسامح الغرب مع المسلمين - دراسة نقدية» (ص٧٦).

(٢) «تسامح الغرب مع المسلمين - دراسة نقدية» (ص٦٧).

طعن وعمل بها الخلفاء من بعده.

ومن ذلك وصية أبي يوسف إلىٰ هارون الرشيد -رحمهما الله-: «وقد ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ، والتفقد لهم حتىٰ لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم»[1].

ومن الأمثلة في ذلك أن إمام أهل الشام في عصره الإمام الأوزاعي أنكر في صراحة قوية وعزيمة صادقة لا تخشىٰ الجهر بالحق شيئًا علىٰ الأمير صالح بن علي لما أراد إخراج أهل جبل لبنان - وهم أهل ذمة - من ديارهم وتحويلهم من بلادهم وأوطانهم إلىٰ بلاد أخرىٰ من أجل حادث وقع من بعضهم.

وفي رسائل الأئمة الذين استفتاهم الأمير عبد الملك بن صالح في أمر جزيرة قبرص تعبير صادق عن الإيمان العميق بما للوفاء بالعهد من مكانة في الإسلام[2].

ب- وصىٰ النبي ﷺ بالأرقاء والعبيد وأمر بالإحسان إليهم والعفو عنهم، وهم في الأغلب من غير المسلمين، بل كان ذلك آخر ما وصىٰ به النبي ﷺ عند وفاته، ومن الأمثلة علىٰ ذلك أن عمر رضي الله عنه كان قد أحسن إلىٰ أبي لؤلؤة

(١) «الخراج» لأبي يوسف (ص١٢٤).

(٢) «الموسوعة في سماحة الإسلام» (١/ ٤٣١).

المجوسي وهو قاتله، وأمر مولاه المغيرة بن شعبة أن يرفق به.

◻ حرمة دمائهم:

أ- حرم الإسلام دماء المعاهدين وأهل الذمة وعلق ذلك بدخول الجنة إن تعرض لذلك أحد بغير حق بل وجعله النبي ﷺ خصمًا له يوم القيامة.

ب- جعل الإسلام لدم المعاهد اعتبارًا، ومن ذلك أنه فرض الدية على من اعتدى على ذمي عمدًا أو خطأً.

ج- حذر الإسلام من الغدر بأن يؤمن الإنسان أحدًا ثم يقتله ولو كان ذلك مع المحاربين.

يقاس على ذلك في زماننا كل من دخل بلاد المسلمين بعهد وأمان، كالسفراء، والدبلوماسيين والتجار، وكل من يدخل بلاد الإسلام بعهد الأمان أوالذمة.

◻ حرمة أموالهم وأعراضهم:

أ- حق غير المسلم في حرمة ماله وعرضه:

اتفق المسلمون في جميع المذاهب، وفي جميع الأقطار، ومختلف العصور، على أن غير المسلمين لهم حق الملكية الخاصة وأموالهم معصومة، وهم في حماية المجتمع المسلم بجميع مؤسساته.

والتاريخ الإسلامي من لدن نبينا محمد ﷺ، وحتى آخر الخلافات

الإسلامية (الدولة العثمانية) خير شاهد علىٰ أن الإسلام كفل حق عصمة أموال غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية، وعلىٰ ذلك استقر عمل المسلمين طوال العصور.

فمَن سرق مال ذمي قُطعت يده، ومَن غصبه عُزِّر، وأعيد المال إلىٰ صاحبه، ومَن استدان من ذمي فعليه أن يقضي دينه، فإن مطله وهو غني حبسه الحاكم حتىٰ يؤدي ما عليه، شأنه في ذلك شأن المسلم ولا فرق.

وبهذا سن الإسلام أعدل القوانين في التعامل مع الآخر، ولم يكن هذا أمرًا نظريًّا لم يطبق علىٰ أرض الواقع، كما هي أغلب المواثيق الدولية التي تنادي بحقوق الإنسان ولا تطبق[1].

من الأمثلة علىٰ ذلك ما قرره النبي ﷺ -كما تقدم- أن من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فهو خصمه يوم القيامة.

ب- منع الإسلام من التعرض للقطة المعاهد واستحلالها كما تقدم فكيف بما هو أعظم من ذلك كالدم والعرض.

◻ حرمة أذيتهم وظلمهم:

أ- لا يجوز ظلم غير المسلمين بمختلف أجناسهم ودياناتهم، وأمر النبي ﷺ باتقاء دعوة المظلوم ولو كان كافرًا.

---

(١) عن موقع دار الإفتاء المصرية بحث في (تسامح الإسلام مع غير المسلمين).

وقال الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللَّهُ- كما في موقعه الرسمي علىٰ الإنترنت تحت عنوان (الواجب علىٰ المسلم تجاه غير المسلم): «لا يظلمه لا في نفس ولا في مال ولا في عرض إذا كان ذميًا أو مستأمنًا أو معاهدًا؛ فإنه يؤدي إليه حقه فلا يظلمه في ماله لا بالسرقة ولا بالخيانة ولا بالغش ولا يظلمه في بدنه بالضرب ولا بالقتل»[1].

ب- حذر الإسلام من إسماع المعاهدين ما يكرهون كسبِّهم أو الطعن بهم، وعلىٰ ذلك بوَّب ابن حبان في «صحيحه» (باب ذكر إيجاب دخول النار لمن أسمع أهل الكتاب ما يكرهونه).

ج- لم يهتم تشريع سماوي ولا أرضي بحفظ الأعراض كما اهتم شرعنا الحنيف. يقول الفقيه الأصولي المالكي شهاب الدين القرافي: «فمن اعتدىٰ عليهم - أي غير المسلمين - ولو بكلمة سوء أو غيبة، فقد ضيَّع ذمة الله، وذمة رسوله ﷺ، وذمة دين الإسلام»[2].

فالإسلام يعتبر أن أذىٰ غير المسلم ولو بكلمة كأذىٰ المسلم تمامًا، بل قد يكون أشد، وهذا ما قرره الإسلام في فقهه النظري وتطبيقه العملي، كما يقرر هذا أيضًا العلامة ابن عابدين - من فقهاء الحنفية - بقوله: «لأنه بعقد الذمة وجب له ما لنا، فإذا حرمت غيبة المسلم حرمت غيبته، بل قالوا: إن ظلم

---

(١) عن كتاب «وجادلهم بالتي هي أحسن» (ص٩٤).

(٢) «الفروق» (٣/ ١٤).

الذمي أشد[١].

□ الوفاء بالعهود والمواثيق:

أ- أمر الإسلام بالوفاء بالعهود والمواثيق وحذر من نقضها بأي صورة من الصور طالما هي موافقة لمنهج الله وشرعه ومتوافقة مع المصالح العامة، وقد سمىٰ الله العهد مع الناس عهدًا معه ليستحثهم علىٰ الوفاء.

ويلزم من الأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق النهي عن نقضها؛ ومع ذلك صرح القرآن بالنهي عنه تأكيدًا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[النحل:٩١].

والوفاء بالعهد من أهم الأخلاق التي تبقي جانب الثقة في التعامل بين الناس ولهذا شدد الإسلام في شأن الوفاء بالعهد؛ فلم يتسامح فيه أبدًا قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤]. وذكر المولىٰ عز وجل أن الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]. ولم يبح لنا الله تعالىٰ أن ننصر إخواننا المسلمين

---

(١) عن موقع دار الإفتاء المصرية بحث «تسامح الإسلام مع غير المسلمين». وانظر: «حاشية ابن عابدين» (٤/ ١٧١)، دار الفكر.

غير الخاضعين لحكمنا على المعاهدين من الكفار لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾[الأنفال:٧٢].

فالمعاهدون لهم علينا الوفاء بعهدهم إلى المدة التي جرى الاتفاق عليها بيننا وبينهم ما داموا لم يخالفوا العهد ولم ينقصوا شيئًا ولم يعينوا أحدًا علينا، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:٤].

وقد حث النبي ﷺ على الوفاء بالعهود عامة، وعلى الوفاء بالعهود التي يعقدها رؤساء الأمم في تنظيم العلاقات الدولية خاصة، قال ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»[1].

ولا نعلم دينًا ولا تشريعًا، قد رفع من شأن «العهد» إلى هذا المستوى من القداسة، وقد كان لقاعدة «حرمة المعاهدات وقدسيتها في السلم والحرب» أثرها في العمل على استقرار السلم والأمن الدوليين، من جهة، وعلى تأصيل روح الثقة فيمن يتعامل سياسيًا مع الدولة الإسلامية، على الصعيد الدولي من جهة أخرى، مما يعتبر بحق من أهم خصائص سياسة الإسلام الخارجية العادلة.

وبهذا يكون قد تبين أن التسامح الإسلامي مع غير المسلمين من أهل

---

(١) أحمد في «مسنده» (٣/ ١٣٥) من حديث أنس، وإسناده حسن.

الأديان الأخرىٰ، حقيقة ثابتة، شهدت بها نصوص الوحي، من الكتاب والسنة، وشهد بها التاريخ الناصع منذ عهد الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم من الأمويين والعباسيين والعثمانيين والمماليك وغيرهم، في شتىٰ أقطار الإسلام، وشهد بها الواقع الماثل في بلاد العالم الإسلامي كله، حيث تعيش الأقليات غير المسلمة ناعمة بالأمان والاستقرار والحرية في ممارسة حقوقها الدينية والدنيوية، علىٰ حين تعيش الأقليات الإسلامية - بل الأكثريات في بعض الأحيان - في كثير من دول آسيا وإفريقيا وأوروبا، مضطهدين مقهورين، لا يُسمح لهم أن يقيموا دينًا، أو يملكوا دنيا[1].

ب- لا يجوز لمسلم أن يعتدي علىٰ كتابي ما دام ملتزمًا بعهد الوفاء والاحترام للمشاعر الإسلامية، وبفضل الله ثم هذه الرعاية احتضنت بعض البلاد الإسلامية مثل مصر وسوريا أقليات دينية يهودية ونصرانية لمدة قرون وما زالت هذه الأقليات تحظىٰ برعاية المجتمع الإسلامي، ولهذا فإن نقض العهد من صفات المنافقين، كما تقدم قول النبي ﷺ: «**أربع من كن فيه ...**».

قال ابن حجر في الحديث: «الغدر حرام باتفاق سواء كان في حق المسلم أو الذمي»[2].

ج- ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في وفائه في عهوده ومواثيقه؛ من ذلك:

---

(١) عن موقع دار الإفتاء المصرية بحث في «تسامح الإسلام مع غير المسلمين».

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٢٨٠).

ما جرىٰ في صلح الحديبية، فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلىٰ رسول الله ﷺ وقد فر من الكفار، فلما رأىٰ سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه ثم قال: يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال رسول الله ﷺ: صدقت. فجعل ينتره بتلابيبه ويجره ليرده إلىٰ قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلىٰ صوته: يا معشر المسلمين أأرد إلىٰ المشركين يفتنوني في ديني فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم علىٰ ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم**».

ومن الأمثلة علىٰ ذلك حلف وعهد المطيبين؛ فهذا العهد كان في الجاهلية ومع ذلك حرص النبي ﷺ علىٰ الوفاء به؛ فلا شك أن العهود في الإسلام أولىٰ بالحرص علىٰ الوفاء بها.

د- الإسلام ينظر إلىٰ الوفاء بالعهد باعتباره فضيلة إنسانية لا يختص بجنس أو عقيدة أو جماعة فهو مع الكافر كحرمته وقداسته مع المسلم وهو مع العدو كحرمته وقداسته مع الصديق[1].

---

(١) «الموسوعة في سماحة الإسلام» (١/ ٣٣٦)، لمحمد صادق عرجون.

*** وقد بوب البخاري في «صحيحه»:**

(باب الموادعة والمصالحة مع المشركين بمال وغيره وإثم من لم يف بالعهد).

(باب فضل الوفاء بالعهد).

(باب دعاء الإمام علىٰ من نكث عهدا).

(باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفىٰ عنهم).

(باب الوصايا بأهل ذمة رسول الله ﷺ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وكما كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ أهل الذمة هذه الشروط والتزموها أوصىٰ بهم نوابه ومن يأتي بعده من الخلفاء وغيرهم وهذا هو العدل الذي أمر الله به ورسوله.

ففي «صحيح البخاري» عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته عند وفاته: وأوصي الخليفة من بعدي بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم. وهذا امتثال لقول النبي ﷺ: **«ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه من حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»**[1].

---

(١) «الجواب الصحيح» (١/ ٣١٢).

ومن الأمثلة علىٰ ذلك ما جاء في كتاب «الأموال» لأبي عبيد -رَحِمَهُ اللَّهُ- بسنده: أن الروم صالحت معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ أن يؤدي إليها مالًا، وارتهن معاوية منهم رهنًا؛ فجعلهم ببعلبك ثم إن الروم غدرت فأبىٰ معاوية والمسلمون أن يستحلوا قتل من في أيديهم من رهنهم وخلو سبيلهم واستفتحوا بذلك عليهم وقالوا: وفاء بغدر خير من غدر بغدر[1].

هـ- لا يجوز التعرض للرسل كالسفراء والدبلوماسيين ومن هم علىٰ شاكلتهم؛ قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وكانت تقدم عليه رسل أعدائه وهم علىٰ عداوته فلا يهيجهم ولا يقتلهم، ولما قدم عليه رسولا مسيلمة الكذاب: وهما عبد الله بن النواحة وابن أثال قال لهما: فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال. فقال رسول الله ﷺ: «**لو لا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما**»، فجرت سنته ألا يقتل رسول.

وقال أيضًا: وكان هديه أيضًا ألا يحبس الرسول عنده إذا اختار دينه فلا يمنعه من اللحاق بقومه بل يرده إليهم، كما قال أبو رافع: بعثتني قريش إلىٰ النبي ﷺ فلما أتيته وقع في قلبي الإسلام فقلت: يا رسول الله! لا أرجع إليهم فقال: «**إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرُد**».

قال: وفي قوله: (لا أحبس البرد) إشعار بأن هذا حكم يختص بالرسل مطلقًا، وأما رده لمن جاء إليه منهم وإن كان مسلمًا؛ فهذا إنما يكون مع

---

(١) «تسامح الغرب مع المسلمين - دراسة نقدية» (ص٦٢).

الشرط كما قال أبو داود: وأما الرسل فلهم حكم آخر ألا تراه لم يتعرض لرسولي مسيلمة، وقد قالا له في وجهه: نشهد أن مسيلمة رسول الله.

و- أمر الإسلام بالوفاء بالعهد ولو كان ذلك مع المحاربين:

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «كان من هديه أن أعداءه إذا عاهدوا واحدًا من أصحابه علىٰ عهد لا يضر بالمسلمين من غير رضاه أمضاه لهم؛ كما عاهدوا حذيفة وأباه الحسيل أن لا يقاتلاهم معه ﷺ فأمضىٰ لهم ذلك وقال لهما: انصرفا! نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم»[1].

ز- يجوز عقد الهدنة والسلام مع الأعداء ويجوز ابتداءهم بطلب الصلح.

ولو كان في بعض الشروط ضيم للمسلمين إذا كان في ذلك مصلحة راجحة للمسلمين.

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- في فوائد صلح الحديبية: «وفي القصة دليل علىٰ جواز عقد الهدنة مطلقًا من غير توقيت بل ما شاء الإمام، ولم يجيء بعد ذلك ما ينسخ هذا الحكم البتة؛ فالصواب جوازه وصحته وقد نص عليه الشافعي في رواية المزني ونص عليه غيره من الأئمة، ولكن لا ينهض إليهم ويحاربهم حتىٰ يعلمهم علىٰ سواء ليستووا هم وهو في العلم بنقض العهد»[2].

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٤٠).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ١٤٦).

وقال أيضًا: «ومنها: جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو إذا رأىٰ المصلحة للمسلمين فيه، ولا يتوقف ذلك علىٰ أن يكون ابتداء الطلب منهم»[١].

وقال: «ومنها: أن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم علىٰ المسلمين جائزة للمصلحة الراجحة ودفع ما هو شر منه ففيه دفع أعلىٰ المفسدتين باحتمال أدناهما»[٢].

وقال ابن حجر في فوائد صلح الحديبية: «وجواز بعض المسامحة في أمر الدين، واحتمال الضيم فيه مالم يكن قادحًا في أصله إذا تعين ذلك طريقًا للسلامة في الحال والصلاح في المآل سواء كان ذلك في حال ضعف المسلمين أو قوتهم»[٣].

ح- يجوز الصلح مع غير المسلمين من غير توقيت: وعليه بوب البخاري في كتاب الجزية والموادعة (باب المصالحة علىٰ ثلاثة أيام أو وقت معلوم)، و(باب الموادعة من غير وقت).

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- في فوائد صلح الحديبية: «وفيها جواز صلح أهل الحرب علىٰ وضع القتال عشر سنين وهل يجوز فوق ذلك؟ الصواب: أنه

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٣٠٤).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٣٠٦).

(٣) «فتح الباري» (٥/ ٣٥٢).

يجوز للحاجة والمصلحة الراجحة؛ كما إذا كان بالمسلمين ضعف وعدوهم أقوىٰ منهم وفي العقد لما زاد عن العشر مصلحة للإسلام»[1].

ط- يجوز التحالف مع غير المسلمين وخصوصًا في حال الضعف أو الحاجة إلىٰ ذلك كما أخبر النبي ﷺ أن المسلمين سيصالحون الروم صلحًا آمنًا كما جاء في حديث ذي مخمر فيغزون معا عدوًّا لهم، وكما في دخول خزاعة في حلف مع النبي ﷺ كما تقدم من حديث المسور في صلح الحديبية.

◻ إقامة العلاقات الدولية:

أ- العلاقات الدولية في الإسلام قائمة علىٰ السلم، بل علىٰ البر والإقساط والتعاون والرحمة، مع الأمم الأخرىٰ، لقوله تعالىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة:٢٠٨]، فالأصل في العلاقات الدولية في الإسلام تحريم البغي والعدوان، أو التعاون والتحالف علىٰ العمل علىٰ ارتكابه، لأنه تعاون علىٰ الإثم، وهذا محرم بالنص، لقوله تعالىٰ:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]. وقوله سبحانه تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[البقرة:١٩٠].

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٤٢١).

ب- بدأ الاهتمام بالعلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم خارج الجزيرة العربية في المرحلة المكية، عندما نصح الرسول بعض أصحابه من المسلمين الأوائل بالهجرة إلىٰ الحبشة للتخلص من ظلم قريش لهم كما تقدم في الأحاديث، وهو ما يعتبر إرسال وفود إسلامية مظلومة مستضعفة إلىٰ أحد ملوك الأرض وقتها، وهو ما يمكن أن نعبر عنه في العصر الحديث أن النبي طلب حق اللجوء السياسي لأصحابه عند النجاشي في الحبشة حماية لهم فأجاب النجاشي طلب النبي ﷺ.

ج- حالما استقرت دولة المدينة بادر النبي ﷺ بإرسال رسائل إلىٰ الدول الكبرىٰ في المنطقة (بيزنطة وفارس ومصر واليمن والحبشة) يدعو زعماءها وشعوبها إلىٰ الإسلام.

وبعد ثمانين عامًا كانت الدولة الإسلامية أكبر إمبراطورية في المنطقة تمتد من الهند شرقًا إلىٰ إسبانيا غربًا؛ حيث أصبحت لها حدود مشتركة وطويلة مع العديد من الدول والشعوب غير المسلمة.

وعبر عصور طويلة، مارست الدول الإسلامية توقيع الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول غير الإسلامية. وتضمنت تلك الاتفاقيات التزامات وقواعد وشروطًا ومبادئ عديدة، بشكل يمثل تطورًا في القانون الدولي الإسلامي. ومن خلال التركيز علىٰ معاهدات معينة، يمكن اعتبارها خطوات متقدمة في تطوير القانون الدولي الإسلامي، وقبول مفاهيم جديدة، بشكل يجعل الباحث يتصور طبيعة الظروف التاريخية التي جعلت تلك الدول توقّع

هذه المعاهدة أو تلك.

د- عرف الإسلام المعاهدات السلمية في السنوات الأولىٰ من تأسيس الدولة الإسلامية الجديدة في المدينة، إذ عقد الرسول ﷺ اتفاقيات سلمية مع الجماعات غير الإسلامية. وقد اعتبرت معاهدة الحديبية قدوة ومثالًا لدىٰ الخلفاء والفقهاء عند عقد الاتفاقيات، وإجراء المفاوضات، ومدة المعاهدات السلمية مع غير المسلمين. فعقدت معاهدة الحديبية بين الرسول ﷺ ومشركي مكة، قريش، في عام، وكانت مواد المعاهدة تتضمن ضمانًا من كلا الطرفين بعدم مهاجمة الطرف الآخر. فرسخت الأمن والسلام الذي كان الطرفان بحاجة إليه، بعد أن شهدت الجزيرة العربية صراعًا عنيفًا وحروبًا ومعارك ضارية بين المسلمين والمشركين.

هـ- كان الرسول قد عقد معاهدات أخرىٰ مع اليهود والنصارىٰ، سواء المقيمين داخل الجزيرة العربية أو خارجها، وخارج حدود دولة المدينة فقد عقد اتفاقية سلمية مع نصارىٰ نجران، ومع يهود فدك وأيلة وتيماء. وكانت تلك الاتفاقيات تضمن لهم حكمًا إداريًّا ذاتيًّا واستقلالًا عن دولة المدينة. لقد كان بإمكانهم الاستمرار بتطبيق قوانينهم علىٰ أراضيهم. ولم تكن الجزية إلزامية في كل الاتفاقيات والمعاهدات مع أهل الكتاب، ففي معاهدة المدينة بين الرسول ويهود المدينة وأطرافها، وهي أول معاهدة سلمية للدولة الإسلامية، لم تتضمن دفع جزية، بل يمكن اعتبارها «معاهدة صداقة»، وبروتوكولًا ينظم العلاقة والصلاحيات والامتيازات الممنوحة لليهود داخل

الدولة الإسلامية، وكان من شأنها ترسيخ الأمن والسلام، إذ لم يسبقها عداء أو حرب مع اليهود، لولا نكث اليهود لها فيما بعد. كما أن المعاهدة التي عقدها الرسول مع بني ضمرة، لم تتضمن دفع جزية، بل اقتصرت علىٰ نصرة الطرفين أحدهما للآخر، وعدم مهاجمته، وعقدت نفس المعاهدة مع بني غِفار، وبالشروط نفسها.

أما العلاقات السلمية مع الحبشة، الدولة النصرانية، فقد استمرت قرونًا دون معاهدة مكتوبة. ففي العهد المبكر للإسلام، هاجر إلىٰ الحبشة حوالي (٨٠) صحابيًا هربًا من تعذيب قريش لهم، وبحثًا عن ملجأ آمن، حيث أمضوا هناك سنوات. فكان موقف المسلمين هو الشكر والعرفان بالجميل، حتىٰ إنهم اعتبروا الحبشة مصونة عن الجهاد والفتوحات العسكرية، فلم يتعرضوا لها، حتىٰ في أوج قوة الدولة الإسلامية في العصر العباسي[1].

□ الإحسان إلىٰ غير المسلمين:

يقيم الإسلام العلاقة بين المسلمين وغيرهم ممن لم يقاتلوهم في الدين أو يخرجوهم من ديارهم علىٰ البر والإقساط والإحسان قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن

(١) عن موقع دار الإفتاء المصرية «بحث في تسامح الإسلام مع غير المسلمين».

تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:٨-٩].

ولعل من أبرز صور الإحسان إلىٰ المخالفين في الدين الأمر بالإحسان إلىٰ الوالدين غير المسلمين ثم الأقربين علىٰ حسب درجات قربهم قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان:١٥]. وكما جاء في حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أتتني أمي راغبة.

أوضح القرافي -رَحِمَهُ اللَّهُ- بعض وجوه البر والإحسان إلىٰ المخالفين فقال: الرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم علىٰ سبيل اللطف لهم والرحمة لا علىٰ سبيل الخوف والذلة، واحتمال إذايتهم مع القدرة علىٰ إزالته لطفا منا لهم لا خوفًا وتعظيمًا والدعاء لهم بالهداية[1].

◻ العدل مع غير المسلم:

الأصل في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل:٩٠]، فقد أمر الله بالعدل حتىٰ مع الأعداء؛ فإن الله تعالىٰ جعل العدل واجبًا علىٰ كل أحد لكل أحد في كل حال؛ فالعدل لا يحده اختلاف الدين قال تعالىٰ:

(١) «الفروق» (٣/ ١٥)، و«تسامح الغرب مع المسلمين - دراسة نقدية» (ص٥٨).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة:٢].

وفي ذلك يقول ابن القيم في «نونيته» عن دعوة الرسل:

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بعدل الله بين طوائف الإنسان

الأمثلة علىٰ ذلك كثيرة جدًا كما قال ابن رواحة لليهود وقد أرسله النبي ﷺ ليحصي عليهم نخل خيبر: والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي، ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه علىٰ أن لا أعدل عليكم فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض، وقد تقدم.

وكتب عليٌّ رضي الله عنه إلىٰ بعض ولاته علىٰ الخراج: «إذا قدمتَ عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتًا ولا صيفًا، ولا رزقًا يأكلونه ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحدًا منهم سوطًا واحدًا في درهم، ولا تقمه علىٰ رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم عَرضًا (متاعًا) في شيء من الخراج، فإنما أُمِرنا أن نأخذ منهم العفو، فإن أنت خالفتَ ما أمرتك به، يأخذك الله به دوني، وإن بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك». قال الوالي: إذن أرجع إليك كما خرجت من عندك. (يعني أن الناس لا يُدفعون إلا بالشدة)، قال: «وإن رجعتَ كما خرجتَ»[1].

---

(١) عن موقع دار الإفتاء المصرية، «بحث في تسامح الإسلام مع غير المسلمين»، والأثر أخرجه البيهقي في «سننه» (٩/ ٢٠٥)، وفي إسناده من لم يسم.

□ التسامح في الجهاد:

أ- الجهاد في سبيل الله وسيلة من وسائل الدعوة يلجأ إليها المسلمون مضطرين حينما يقف الأعداء مانعين تبليغ رسالة الله إلىٰ الناس في أرجاء المعمورة، قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]. وقال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]. وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣٣].

ب- الجهاد في الإسلام مصون بأحكام وقواعد وآداب شرعية كان النبي ﷺ يوصي بها قادته حينما يوجههم ليجاهدوا في سبيل الله كما في حديث بريدة[١].

وقال أبو بكر الصديق في وصيته لجيوش المسلمين قال: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأةً ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له[٢].

---

(١) «تسامح الغرب مع المسلمين - دراسة نقدية» (ص٥٠).

(٢) «تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٢٤٦).

وفي وصية عمر كذلك لجيوش المسلمين: فإن قاتلوكم فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا[١]. فمن تلك الآداب:

١ - النهي عن قتل النساء والصبيان ومن لا يقاتل كالرهبان والقساوسة ومن في حكمهم.

٢ - النهي عن الغدر والمثلة.

٣- النهي عن القتال قبل الدعوة.

٤ - الأمر بالإحسان إلىٰ الأسرىٰ.

٥ - الأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق.

٦ - النهي عن قتل الرسل والسفراء.

قال ابن القيم في فوائد حديث بريدة: «ومنها أن الجيش ليس لهم أن يغلوا من الغنيمة ولا يغدروا بالعهد ولا يمثلوا بالكفار ولا يقتلوا من لم يبلغ الحلم. ومنها أن المسلمين يدعون الكفار قبل قتالهم إلىٰ الإسلام وهذا واجب إن كانت الدعوة لم تبلغهم ومستحب إن بلغتهم الدعوة هذا إذا كان المسلمون هم القاصدون للكفار؛ فأما إذا قصدهم الكفار في ديارهم فلهم أن يقاتلوهم من غير دعوة لأنهم يدفعونهم عن أنفسهم وحريمهم»[٢].

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٥٥٧).

(٢) «أحكام أهل الذمة» (ص١٥).

ومن أمثلة دعوة غير المسلمين قبل قتالهم: ما قام به عمرو بن العاص بدعوة أهل مصر قبل القتال إذ قال لجنوده: لا تعجلوا حتىٰ نعذر ليبرز إليّ أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد. فبرزا إليه فقال لهما عمرو بن العاص: أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ، وأدىٰ إلينا كل الذي أمر به ثم مضىٰ وتركنا علىٰ الواضحة، وكان مما أمرنا به الإعذار إلىٰ الناس؛ فنحن ندعوكم إلىٰ الإسلام فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفاظا لرحمنا منكم، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلىٰ ذمة، ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيرًا، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيرًا[1].

قال ابن القيم في فوائد حديث فتح مكة: «وفيها: أن رسول الكفار لا يقتل؛ فإن أبا سفيان كان ممن جرىٰ عليه حكم انتقاض العهد ولم يقتله رسول الله ﷺ إذ كان رسول قومه إليه»[2].

وقال ابن القيم: «ومنها: إن الرسول لا يقتل ولو كان مرتدًّا هذه السنة»[3].

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٩٨).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٤٢٢).

(٣) «زاد المعاد» (٣/ ٦١٣).

ومن الأمثلة علىٰ ذلك أن النبي ﷺ لم يتعرض لرسولي كسرىٰ مع أنهم جاءا للقبض والنيل من النبي ﷺ بل وعفا عنهم، وكذلك لم يتعرض لرسولي مسيلمة الكذاب.

□ مظهر التسامح في الجزية:

أ- يظهر ذلك في قبول الجزية وعدم الإكراه في الدين قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٦٥]، فلا يجبروا في الدخول في الدين بل يترك لهم حرية الاختيار ويحقن دماءهم وأموالهم ويبقون في حماية المسلمين ماداموا محافظين علىٰ العهد ملتزمين فيه.

ب) تسقط عمن أسلم ولا يطالب بما عليه قبل إسلامه ولا تؤخذ من الشيخ الكبير الذي لا يستطيع العمل ولا شيء له، وكذلك المغلوب علىٰ عقله لا يؤخذ منه شيء.

قال القرطبي[1]: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: والذي دل عليه القرآن أن الجزية تؤخذ من الرجال المقاتلين لأن الله تعالىٰ قال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ

(١) هو الشيخ العلامة المفسر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي المفسر توفي سنة (٦٧١هـ)، انظر ترجمته في «نفح الطيب» (٢/ ٦٨٥) للمقَّري.

مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]. فيقتضي ذلك وجوبها علىٰ من يقاتل، ويدل علىٰ أنه ليس علىٰ العبد، وإن كان مقاتلًا لأنه لا مال له، ولقوله تعالىٰ قال: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟﴾، ولا يقال لمن لا يملك حتىٰ يعطي، وهذا إجماع من العلماء علىٰ أن الجزية إنما توضع علىٰ جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يقاتلون دون النساء والذرية والعبيد والمجانين المغلوبين علىٰ عقولهم والشيخ الفاني، واختلف في الرهبان فروىٰ ابن وهب عن مالك أنها لا تؤخذ منهم[1].

ج- لا يحل تكليفهم مالا يقدرون عليه، ولا تعذيبهم علىٰ أدائها، ولا حبسهم وضربهم كما يقول ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-[2].

د- تقوم الدولة الإسلامية بكفالة الفقراء والمحتاجين من أهل الذمة مقابل ذلك.

فقد جاء أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذات يوم مر بباب قوم وعليه سائل يسأل شيخ كبير ضرير البصر فضرب عضده من خلفه وقال : من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي قال: فما ألجأك إلىٰ ما أرىٰ؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن فأخذ عمر بيده وذهب به إلىٰ منزله فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل إلىٰ خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه؛ فوالله ما

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٠١).

(٢) «أحكام أهل الذمة» (ص٣٧).

أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠] والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه وجرىٰ علىٰ ذلك عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-[١].

وفي عقد الذمة الذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصارىٰ: «وجعلت لهم: أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعِيل من بيت مال المسلمين هو وعياله»[٢].

وكان هذا في عهد أبي بكر الصِّدِّيق، وبحضرة عدد كبير من الصحابة، وقد كتب خالد به إلىٰ أبي بكر الصِّدِّيق ولم ينكر عليه أحد، ومثل هذا يُعَد إجماعًا.

وعند مقدم عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (الجابية) من أرض دمشق، مَرَّ في طريقه بقوم مجذومين من النصارىٰ، فأمر أن يعطوا من الصدقات، وأن يجرىٰ عليهم القوت، أي تتولىٰ الدولة القيام بطعامهم ومؤونتهم بصفة منتظمة.

وبهذا تقرر الضمان الاجتماعي في الإسلام، باعتباره «مبدأً عامًا» يشمل أبناء المجتمع جميعًا، مسلمين وغير مسلمين، ولا يجوز أن يبقىٰ في المجتمع

---

(١) «الخراج» لأبي يوسف (ص١٢٦).

(٢) «الخراج» لأبي يوسف (ص١٤٤).

المسلم إنسان محروم من الطعام أو الكسوة أو المأوىٰ أو العلاج، فإن دفع الضرر عنه واجب ديني، مسلمًا كان أو غير مسلم[١].

هـ- لا تتوقف هذه المسؤولية تجاه أهل الذمة عند إسقاط الجزية لمن لا يقدر علىٰ دفعها، ولا كفالة الفقراء والمحتاجين منهم فحسب بل تتناول حمايتهم ضد أي اعتداء داخلي كان أم خارجي؛ فالمسلمون مطالبون بالحفاظ علىٰ حقوق أهل الذمة وأموالهم وأنفسهم.

فهذا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لما سمع بتجمع الروم ورأىٰ عدم قدرته علىٰ الدفاع عنهم رد ما أخذه من جزية من أهل بعض مناطق الشام وكتب إلىٰ قواده أن يقولوا لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وإنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم وإنا لا نقدر علىٰ ذلك[٢].

ونقل القرافي عن ابن حزم رحمهما الله قوله: «إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلىٰ بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك صونًا لمن هم في ذمة الله تعالىٰ وذمة رسوله ﷺ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة وحكىٰ في ذلك إجماع الأمة[٣].

ولهذا فإذا وقع الذميون أسرىٰ في يد عدو ما؛ فعلىٰ الدولة الإسلامية أن تستنقذهم من أيديهم حتىٰ ولو بدفع الفداء عنهم يقول الليث بن سعد: أرىٰ

---

(١) عن موقع دار الإفتاء المصرية، «بحث في تسامح الإسلام مع غير المسلمين».

٢١) «الخراج» لأبي يوسف (ص١٣٩).

(٣) «الفروق» (٣/ ١٤)، و«تسامح الغرب مع المسلمين - دراسة نقدية» (٧٤).

أن يفدوهم من بيت مال المسلمين ويقروا علىٰ ذمتهم[١].

وقد تجلىٰ هذا المثل الرائع في شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- وهو يخاطب قائد التتار قطلوشاه لما أسر عددًا من المسلمين والذميين في أن يطلقهم فقال له قائد التتار: لكن معنا نصارىٰ فهؤلاء لا يطلقون، فقال له ابن تيمية : بل جميع من معك من اليهود والنصارىٰ الذين هم أهل ذمتنا، فإنا نفكهم ولا ندع أسيرًا لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة، فأطلق من النصارىٰ من شاء الله[٢].

◻ حاجة أهل الأرض إلىٰ الإسلام في هذا الزمان:

الإنسانية جمعاء أحوج ما تحتاج إلىٰ الإسلام في هذا الزمان، ففي هذا العصر الذي طغت فيه المادة ، وكثرت فيه دعاوي التحرر والحرية والدعوة إلىٰ الإلحاد والخروج عن قيم الدين والأخلاق واللهث وراء إشباع الغريزة البهيمية بغض النظر عن دين أو خلق أو عرف أو عادة ، فهي تعيش جاهلية أشبه بالجاهلية الأولىٰ بل أشد ، فلا خلاص لها من هذا الانغماس المادي والجنسي إلا بالرجوع إلىٰ دين الإسلام عقيدة ومنهجًا وسلوكًا وأخلاقًا في كل

---

(١) «الأموال» لأبي عبيد (١٤٠ص)، و«تسامح الغرب مع المسلمين - دراسة نقدية» (٧٤).

(٢) مأخوذ من كتابي: «تسامح الإسلام مع غير المسلمين» منشور علىٰ موقع صيد الفوائد.

نواحيه ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:١٢٢].

قال شيخ الإسلام: «وَالرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ لِلْعِبَادِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا، وَحَاجَتُهُمْ إلَيْهَا فَوْقَ حَاجَتِهِمْ إلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالرِّسَالَةُ رُوحُ الْعَالَمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ؛ فَأَيُّ صَلَاحٍ لِلْعَالَمِ إذَا عَدِمَ الرُّوحَ وَالْحَيَاةَ وَالنُّورَ؟ وَالدُّنْيَا مُظْلِمَةٌ مَلْعُونَةٌ إلَّا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ»[1]. انتهى.

هذه لمحات من أثر الإسلام على الأفراد والمجتمعات والأمم الأخرى، من حيث الجانب الإنساني والحضاري، والأمر أعظم وأكبر من هذه الكلمات والحروف، ولكن فيما ذكرنا كفاية وإعانة للباحث والمستفيد، والحمد لله رب العالمين.

(١) «مجموع الفتاوى».

المقدم

جَزَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَخَانَا الشَّيْخَ الدُّكتورَ عبدَالباسط الغريب خيرَ الجَزَاءِ، وَنَفَعَ بِهِ المسلمِينَ .

إنَّ الإسلامَ -أيُّها المباركونَ- قَدْ لاقَىٰ مُحاربةً وسخريةً وازدراءً علىٰ مرّ العُصورِ وكرِّ الدُّهُورِ، مُنْذُ مَهدِ الدَّعْوَةِ إليهِ، وإلىٰ الآن والحربُ مستعرةٌ لاستئصالِهِ، ولكنَّ اللهَ -جلَّتْ عَظَمَتُهُ-، تكفَّلَ بحِفْظِهِ، وَأَحَاطَهُ بِرِعَايَتِهِ، وَجَعَلَهُ مَاضِيًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، ويأبىٰ اللهُ إلا أن يُتِمَّ نورَهُ، كما قال نبيُّ هذه الأُمَّةِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- : «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأمرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، ولا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هذَا الدين، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ فِيهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ بِهِ الكُفْرَ**».

فالدينُ مَصُونٌ مِنَ الضَّيَاعِ، تامٌّ غيرُ منقوصٍ، لا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ، وَلَا تَبِيدُهُ أَلْسِنَةُ الأفَّاكينَ الطَّاعِنِينَ ؛ فاللهُ -تباركَ اسمُهُ وتعالىٰ جدُّهُ- يقولُ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، حتَّىٰ وَإِنْ تَوَالَتِ الهَجَمَاتُ وَطَرَائِقُ التَّشْوِيهِ والتَّشْكِيكِ وَالإِسَاءَةِ لِلْإِسلام مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ وَلَا انْقِطَاعٍ ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ -سُبْحَانَهُ- يُقيّضُ عِبَادًا لَهُ يُجَلُّونَ حقيقةَ الإسلامِ ودَعْوَتَهُ الحَقَّة، وَيَذُودُونَ كُلَّ تُهَمَةٍ أَلْصَقَهَا العُدَاةُ وَأَرْدَفُوهَا بِهِ، والإسلامُ منها بريءٌ بَرَاءَةَ الذِّيبِ مِنْ دَمِ نَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ عليه السلام، حتىٰ تَتَهَافَتَ حُجَّتُهُمْ تَهَافُتَ أوراقِ الخَرِيفِ، وَيَنْهَدِمَ صَرْحُ البَاطِلِ وَمَا جَمَعُوهُ، وتبوءَ أَعْمَالُهُم بِالفَشَلِ وَمَا دَبَّرُوهُ، وَتَذْوِيَ آمَالُهُمْ وَمَا

رَسَمُوهُ ؛ قَالَ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾، هاديًا : أي من التَّشكيك، ونصيرًا : أي من العُدوان .

أيُّهَا المبَارَكُونَ:

ومع كلّ هذا وذاك ؛ فإنَّ الفطرةَ دَافِعَةٌ بِالإِنْسَانِ لِيَصْدَعَ بِكَلِمَةِ الحَقّ، وَيَنْبِسَ بالصّدْقِ -وَلَوْ بَعْدَ حِين-، فيتفتَّقَ منْهُ المنطقُ -وإن كان كافرًا- بالشَّهَادَةِ الخالصةِ علىٰ صدق الإسلام، وطيبِ معانيه، وحسْنِ مَرَاميهِ . وإليكُمْ بعضًا من أقوالٍ فاهَ بهَا غيرُ المسلمينَ، ورتَقَتْهَا أَنامِلُهُم في مُصنَّفَاتِهِم، الذين لم يجِدوا محيصًا ولا وَزَرًا وَلَا مُدَّخَلًا لِيَحْجُبُوا إِرَادَةَ اللهِ النَّافِذَة، فَقَدْ أنطقَهُمُ اللهُ -جَلَّتْ عَظَمَتُهُ- الذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنَّ مِنَ الحَقّ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ:

فلقد جَاءَ في كتاب «أعظمُ مِائَةِ شخصٍ في التاريخ» **لمايكل هارت** : «إنَّ اختياري محمداً ليكونَ الأولَّ في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يُدهش القراء، ولكنه الرجلُ الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلىٰ نجاحٍ علىٰ المستويين الديني والدنيوي، فهناك رسلٌ وأنبياءُ وحكماءُ بدأوا رسالاتٍ عظيمةً، ولكنهم ماتوا دون إتمامها كالمسيح في المسيحيَّة، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم كموسىٰ في اليهودية، ولكنَّ محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينيَّة، وتحددت أحكامُهَا، وآمنت بها شعوبٌ بأسرها في حياته، ولأنه أقام جانب الدين دولةً جديدةً، فإنهُ في هذا المجال الدنيوي أيضًا وحَّد القبائل في

شعب، والشعوبَ في أمَّةٍ، ووضع لها كلَّ أسسِ حياتها، ورسمَ أُمُورَ دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلىٰ العالم، أيضًا في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها».

ويقول الأديب العالمي **ليف تولستوي** : «يكفي محمداً فخراً أنه خلّص أمةً ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح علىٰ وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأن شريعة محمَّد ستسود العالم ؛ لانسجامها مع العقل والحكمة».

ويقول الفيلسوف **الإنجليزي توماس كارليل** الحائز علىٰ جائزة نوبل في كتابه «الأبطال» : «لقد أصبح من أكبر العار علىٰ أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلىٰ ما يقال من أن دين الإسلام كذب ! وأن محمداً خدَّاع مزور! وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة»، ويقولُ أيضًا : «والله إني لأحب محمدًا لبراءة طبعه من الرياء والتصنُّع».

وغير ذلك من الأقوال التي ملأت الدُّنْيَا في إنصاف رسالة السماء وحملتها، وهو شيءٌ يسيرٌ، وحَصَاةٌ من ثبيرٍ، وما ذُكِرَ لم يبلغْ عُشْرَ معشارِ ما ذكروا، ولكن يكفي هَهُنَا التَّلْوِيحُ .

أَبِي الإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين ... اللهم يا وليَّ الإسلام وأهله مسّكنا بالإسلام حتَّىٰ نَلْقَاكَ بِهِ .

أيها المباركون :

ومع مسك الختام أدع الكلمة الذَّهبيَّة الأخيرة لفضيلة الشيخ مشهورِ بنِ حسن آل سلمان -مدَّ اللهُ تعالىٰ له في أَثَرِهِ، وَبَارَكَ في جُهْدِهِ- ؛ لِيُتْحِفَنَا بِمَا فَتَحَ الفَتَّاحُ -تَعَالَىٰ- عَلَيْهِ، فَلْيَتَفَضَّلْ مَشْكُورًا .

تعقيب وتعليق صاحب الفضيلة

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

-حفظه الله-

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا﴾[الكهف:١].

عِوَجًا -بكسر العين -: ما لا يُرىٰ بالعين، وعَوَجًا -بفتح العين-: ما يُرىٰ بالعين.

عِوَجًا: الشيء الذي لا تُبصره ولا تراه.

فدينُ الله الخالد قُوته فِيه وأعداؤه يبحثون عن ما يعيبه ولا يجدون، ويبحثون عن نقائص في نبيه وورثته فلا يجدون، فلم يكن أمامهم إلا التآمر عليه.

الكلام كثير و إخواني جزاهم الله خيرا أحسنوا و أفادوا و دونت شيئًا في الحال من غير إمهال ولا إهمال، و أرجو الله تعالىٰ أن يكون فيه نفع و إن كان علىٰ استعجال.

كلماتي شذرات، و إفاضات، و إضافات، وليست استدراكات، ولا تعقُّبات.

فكلام الإخوة كلام مليء، مترابط فيه فوائد، ولا ينتفع بمثل هذا الكلام إلا طلبة العلم، و أحسبكم و الله حسيبكم أنكم كذلك.

فالكلام غير المفهوم فيه ملل، و لكن عدم الملل بإذن الله تعالىٰ فيه إشارة إلىٰ أنكم انتفعتم.

ولذا يسر الله لي أن أُقيد بعض الفوائد من كل كلمة من كلمات المشايخ، وعددها أربعة وسر الأربعة أن علماءنا السابقين كـ: (عبد الغني ابن سعيد الأزدي) و(الإمام النووي) لهم الرُباعيات، و كذلك عند علماء المصطلح أقل

المتواتر الأربع، و لذا يُهدر الدم بشهادة الأربع.

فعندي أربع[1] ملحوظات عَجِلات علىٰ كلام إخواني المشايخ جزاهم الله خيرًا ونفع بهم.

وقبل أن أتكلم لا بُد من أُمور نتذكرها ولا ننساها.

الدين الذي نمتاز به دين الوحي لا دين العقل، ولا دين الفِكر، فالدين الذي ندعوا إليه دين الوحي، و لذا ما خالف النصوص من الكتاب و السنة فإنا نبرأ إلىٰ الله عز وجل منه، و نحن في عِصمة ما دام نصيبنا من دين الوحي كبير، فإن ابتعدنا عنه أصابنا ما أصاب غيرنا.

ولا أكتمكم سرًا أن الغرب يرقُب، و أن الغرب يعي، و يفهم ويُميز، و أن الغرب عنده مراكز بحثيّة دقيقة تراقب ما يجري علىٰ وجهٍ فيه أسبابُ بقاءٍ لهم، لأن هذا الدين في سنته لا يمكن لأحد أن يبقىٰ مع مقاومته و لكن يطيلون أعمارهم.

ولذا؛ وقعت وصايا في بعض المراكز الأمريكية مثلًا في مركز (راند) يقولون: السلفية ابتعدوا عنها، وينبغي أن تجفف مواردها و ينبغي أن تضعُف، وما ينبغي أن يبقىٰ لها قيام وما شابه، وكثير من الإجراءات الموجودة في الدول العربية، ولاسيما مع إظهار الدواعش وما شابه فيها فوائد عديدة للغرب، ومن أهم

---

(١) ثم هاجمنا الوقت، ولم نستكملها، ولا قوة إلّا بالله!

الفوائد العديدة الحيلولة دون الغربي الأصلي والإسلام، ووجود حواجز معنوية أمامه قبل تفكيره في دخول الإسلام.

ولذا انتشار الإسلام بعد داعش غير انتشار الإسلام ما قبل الدواعش، بالإضافة إلىٰ فوائد كثيرة قد تكون أساسية وقد تكون غير أساسية لذلك، ذلك بالسبر والنظر انتشار الإسلام الفطري، لا أزعم أن انتشار الإسلام لأحد منة علىٰ الإسلام وعلىٰ انتشاره، قد تجد بعض الحزبيين يقولون: الإسلام انتشر بسببنا إلىٰ آخره، الإسلام منتشر انتشارًا واسعًا جدًّا في حقبة قصيرة بسبب قوة الإسلام، وهذه قاعدة مهمة جدًّا، الإسلام دين حق، ودين الحق لا يمكن لأحد أن يقاومه.

أذكر زارنا في الأردن في منتصف الثمانينات علامة كبير من علماء الهند، وهو الشيخ (أبو الحسن الندوي) -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وألقىٰ محاضرات، ومن ضمن المحاضرات التي ألقاها في عمان، محاضرة ألقاها في الكلية العلمية الإسلامية في جبل عمان، فقام إليه شاب موجوع متحمس، فيتكلم عن الفساد، وعن انتشار بعض الأديان، وحركات التنصير، إلىٰ آخره.

فأجابه الشيخ بجواب بديع، فقال: يا بني! الإسلام كالكائن الحي، والباطل كالكائن الميت، فالحي ينتشر بنفسه ويتحرك بذاته، والميت لا ينتشر إلا أن يحمل علىٰ الأكتاف، وتوجد الحسنوات، وتوجد الأموال، والمستشفيات، وما شابه، فاطمئن هذا الدين دين الله، وليس انتشار هذا الدين لأحد.

ونقولها: سائلين الله جل في علاه أن يكرمنا فيجعلنا من العاملين علىٰ نشر دينه ونصرة سنة نبيه ﷺ، والله ليس لأحدٍ علىٰ هذا الدين مِنَّةٌ البتة.

الذي أريد أن أقوله: العقول البشرية تعمل، حتىٰ العلماء يجهدوون ويبذلون الذي يستطيعون، وهنالك أسباب ومسببات وفق عالم الناس في بعض الأحايين يكون انتشار الإسلام صعبًا، لكن هذا أمر لا تقلق عليه.

العبد الضعيف -مشهور حسن- درست حياة عالم كبير من العلماء السلفيين وهو -تقي الدين الهلالي-، كُتبت فيه عدة رسائل في جامعات أمريكية وأروبية عريقة، وباحث كندي قدم رسالة دكتوراة في أمريكيا، في أعرق جامعة من جامعاتها، جامعة واشنطن، قدمَ رسالة سماها «عولمة الفكر السلفي من خلال تقي الدين الهلالي».

فالغرب بعد الدراسة تبين أن تقي الدين الهلالي هو سبب عولمة الفكر السلفي في العالم، لأنه كثير الأسفار، ما ترك بلدة في العالم إلا زارها وسافر لها، ودعا إلىٰ الإسلام فيها، وهو علامة كبير يتقن تسع لغات، أضر بآخر حياته، فتعلم لغة بريل، وكتب مقالة أن لغة بريل ليست من ابتكاراته، وأن هذا بريل سرقها من عالم في الأندلس قديم، وبرهن علىٰ هذا بالحقائق والبراهين، وهو ضرير ألف شرحًا علىٰ الواسطية بهذه اللغة.

أخذ الدكتوراة في الفلسفة من ألمانيا سنة (١٩٢٩ - ١٩٣٠) وقت الحرب العالمية الثانية، وهو غيور جدًّا علىٰ الإسلام، ويقول في بعض مقالاته: «الحمد لله الإسلام انتشر في ألمانيا، فدخل في الإسلام من الألمان

أربعة»، شيء عجيب.

ويقول آخر -وهو عالم ألباني اسمه (شمس الدين سامي فراشري)، وهو متوفىٰ سنة (١٩٠٤)، له كتاب عن (المدنية الإسلامية)- يقول في كتابه «همة الهُمام في نشر الإسلام»، ما نصُّه:

«وأما في عصرنا هذا فنشرُ الإسلام في قطعةِ أُوروبا مُتَعَسِّر جدًّا، لأن أهل أُوروبا اليوم مُنقسمين إلىٰ فِرقتين: فِرقة المُعتقِدين وفِرقَه المُنكِرين، أما المُعتقدون فهم المُتعصبون في النصرانية ولهم بُغضٌ عظيمٌ للمسلمين، وأما المُنكِرون فمنهم من آمن بالله وحده ولم يؤمن بالآخرة ولا بالوحي، ومنهم من أنكر الله سبحانه وتعالىٰ، وكلهم متفقون أن الإسلام أحقُّ الأديان وأصلحها ولكنهم يزعُمون أنهم يستغنون عن هذا الدين، فلهذا قلنا إن نشر الإسلام في قِطعة أُوروبا مُتَعَسِّر بل مُستحيل، هذا كلامه، وهذا هو الشاهد، وقد اتفق المحققون علىٰ أن الدين المستقبلي لِقطعتي آسيا وأفريقا و جزائِر البحر المحيط إنما هو الإسلام وحده وأن للنصرانية قطعتي أُوروبا وأمريكا». انتهىٰ كلامه.

أُنظر الأن إلىٰ أُوروبا أُنظر إلىٰ ألمانيا أُنظر إلىٰ فرنسا أُنظر إلىٰ هولندا، هولندا التي تُباع فيها المُخدرات كالخبز، هولندا التي تُعرض فيها النساء علىٰ البترينات العرايا كسائِر السلع، وذهبنا إلىٰ هولندا ونظرنا ولمسنا أثر الإسلام.

الإسلام مُنتشر جدًّا، ولذا لابد من فريقِ بحثٍ يعمل علىٰ أسبابِ عدم انتشار الإسلام.

والذي يجري اليوم شعاره بالكلام الواضح الذي ليس فيه كبير خفاء الإسلام قوّته فيه ولا بد أن يسود الإسلام شئنا أم أبينا، قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾[الحج:١٥].

﴿بِسَبَبٍ﴾؛ أي: بحبل.

﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: إلىٰ السقف.

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾: يشنق نفسه غيظًا.

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾.

الإسلام لا نخاف عليه، نخاف علىٰ أنفسنا، نخاف أن لا نثبت علىٰ هذا الدين أو لا نستطيع أن نحمل هذه الأمانة التي حمّلنا الله عز وجل إيّاها .

كلام إخواني الدكاترة والمشايخ جزاهم الله خيرًا ونفع الله بهم يدور علىٰ أن هذا الدين يحتاجه البشر، وأن أسباب سعادة البشر إنما هي في هذا الدين.

تكلم إخواني جزاهم الله خيرًا علىٰ حديث: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»، قالوا: لم يَرِد في الحديث أو يُمسلمانه، وهذه الفِطرة لا يمكن أن تُنزع من نفوس البشر بكل قوىٰ الدنيا، تُوقظ هذه الفطرة بلحظات فيُصبح أعتىٰ العُتاة من أقرب المقربين إلىٰ الله عز وجل، وهذا سرٌّ عظيمٌ في نشر الإسلام، وقد ذكر بعضهم جزاه الله خيرًا قال:

في نفس كل إنسان قوّة أودعها الله لأن تقبل الإسلام وهذا معنىٰ الحديث، ولذا الذي يموت وفطرته سليمة ولم يعرف التوحيد وهو المسمىٰ في أحاديث النبي ﷺ، ورد هذا في سبعة أحاديث وذكرها ابن القيم في آخر كتابه «طريق الهجرتين وباب السعادتين» في أقسام المكلفين، ورد سبعة أحاديث في أهل الفترة.

- من هم أهل الفترة؟

الذين ما بلغهم الدين.

- ما هو مآلهم؟ هل هو في النار؟

ليسوا في النار.

- هل مآلهم في جنة ؟

ليسوا في جنة.

مآلهم الامتِحان العامّ، يُمتحنون في عرصات يوم القيامة والسبب أنهم أهل فترة، فطرة وأهل فترة فطرة سديدة صحيحة ما اجتالتهم الشياطين بالكفر وبَقوا علىٰ فطرتِهم.

فمعنىٰ كل مولود يولد علىٰ الفطرة كما تفضل إخواننا المشايخ جزاهم الله خيرًا، الفِطرة؛ أي: القوة المُستعِدة التي (تَقبل وتَسعد) ولا أقول تسعد ولكن (تَسعد وتَصعد)، قوة تقبل وتَسعد وتصعد بالإسلام.

لذا (الإيمان) كائن حيّ غريب إذا دخل النَّفس البَشريّة ؛ غيَّرها وقلبها وغيَّر طباعها.

ثمَّ ذكر أخونا الشيخ عبد الرحمن آل نصر -جزاه الله خيرًا- قول الله تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[البقرة:٢١٣].

آيةٌ عجيبة وهذا الذي يسعىٰ إليه الغرب، يريدون من الناس أن يكونوا أمةً واحدة، بعث الله الرسل ليُفرِّقوا، لئلا يكون النّاسُ أمةً واحدة.

ولذا نحن لا ندعو إلىٰ توحيدِ الكلمة وإنّما ندعو إلىٰ كلمة التّوحيد، دعوتُنا إلىٰ كلمة التَّوحيد وليست إلىٰ توحيد الكلمة، كان الناس قبل أن يبعثَ اللهُ النّبيّين أمةً واحدة، واليومَ الشعار -أن يكون الناسُ أمةً واحدةً- شعارُ العولمة، والتي تبدأ بعولمة الأطفال في الألعاب، وهو ألا يكون ولد صغير في أي قطر من الأقطار يلعبُ لعبةً خاصةً به، ثم النّاس تصبحُ أمةً واحدة، وأما دينك فلك ؛ وللأسف هذا هو الإسلام الذي تدعو إليه كثير من وسائل الإعلام.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

يقول أبو جعفر الطحاويُّ في «عقيدته»: «فبعثَ اللهُ النّبيّين إليه داعين، وبه معرِّفين، ولمن أجابهم مبَشِّرين، ولمن خالفهم منذرين». انتهىٰ.

فهذه مهامُّ النّبيين، فبعث الله الأنبياء ففرَّقوا الناس.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾[القلم:٣٥-٣٧].

فجاء الأنبياء ففرّقوا وهذا التفريقُ وفقَ ما أمر الله، ووفقَ دينِ الله ؛ ليظهر دين الحق من الدّين المبطِل.

ثم الآية التي كرَّرها إخواننا -جزاهم الله خيرًا- و تحتاج إلىٰ وقفات وأعود إليها، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الجمعة:٢].

هو الذي بعث في الأمّيِّين : بعث الله نبينا محمدًا ﷺ للعرب الأميِّين، كما قال الله -عز وجل- في سورة الأنعام: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

والناظر في الخارطة في زمن بعثة النبيّ ﷺ للفرس والروم والعرب يجد العرب ليس لهم كبير قيمة، بل كيان اسم العرب غير موجود، وإنما الكيان للقبائل والقبائل موزَّعة الولاءات لدول كبرىٰ والعرب لا وجود لهم.

ولذا ذكر بعض علماء وحكماء الهند وهو عبد الحميد الفراهي - صاحب كتاب «نظم القرآن»، وهو تفسير للمناسبات والربط بين الآيات-، يقول: أعيتني مسألة، ما هو سرُّ إرسال اللهِ محمدًا ﷺ للعرب، وحالُ العربِ آنذاك كان من أسوأ ما يمكن؟

يقول: فتأمَّلت و نظرت وأطلت النّظر وأنا أتأمل ؛ فوجدتُ أن للعربِ أخلاقًا، وهناك خُلقان عند العرب لا يوجدان في أمّة من الأمم، الخُلق الأوّل

الصدق، فالعربيُّ لا يكذب، والخُلق الثاني الكرم، فالعربيُّ لا يبخل.

قال: فنظرت في الشريعة فوجدت أن الإسلامَ قائم علىٰ عبادات، ومدارُ العبادات علىٰ الإخلاص والصدق، وقائم علىٰ المعاملات، ومدارُ المعاملات علىٰ الكرم ؛ فاختارَ اللهُ العربَ للصدقِ الذي فيهم والكرمِ الذي عندهم .

قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة:٢].

أريد أن أقف وقفة ولي عودة علىٰ تفصيل فيها.

قال الله عز وجل: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، وقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾، ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾.

- قبل ماذا؟

قبل التزكية والعلم.

قال: (لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).

- ما هو الضلال المبين؟

الضلال المبين مخلوق تزاوج بين أمرين.

يزكيهم وعكسها: الظلم، وعكس يعلمهم: الجهل، ومن هنا ندرك - وقد حام إخواننا جزاهم الله خيرًا علىٰ قول الله عز وجل عن الإنسان: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب:٧٢]، الذي يرفع الظلم التزكية، والذي يرفع الجهل

العلم .

فلو أخذنا الجهل والظلم وعملنا مزاوجة ونكاح وأدخلنا أحدهما في الآخر وعملنا مزيجًا بين الظلم والجهل يكون المولود الضلال المبين .

فالنبي ﷺ بُعث ليرفع عنا الضلال، ورفع الضلال يستلزم أن يرفع عنا الجهل والظلم، علم لا يرفع ظلمًا لا فائدة فيه، ولا سيما إن كان الظلم إنما يخص صاحبه، ولذا كانت عقوبة المتعلم الذي لا يعمل بعلمه؛ لأنه جمع مع جهله ظلمًا لنفسه كانت عقوبة عظيمة جدًا فهذه لفتة ثالثة.

اللفتة الأخيرة في التعليق علىٰ كلام أخينا الشيخ عبد الرحمن نصر، ذكر اضطرار العباد للطاعة وكلامه ذكرني بكلام عجيب بديع مفصل طويل للإمام الشاطبي في كتابه «الموافقات» قال كلمة أقتصر علىٰ آخرها:

«كن عبدًا لله بالاختيار كما أنك عبد لله بالاضطرار»: ما يوجد إنسان إلا وهو عبد لله بالاضطرار، وهذا الشيء الذي لا تحاسب عليه وفق سنة الله في كونه ؛ لا تستطيع أن تطير ومحكوم بأشياء كثيرة، فأنت شئت أم أبيت عبد لله، لكن السعيد من جمع نفسه ولم يفرق نفسه فيهلك، لذا كان من دعاء الأنبياء كسليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾؛ أي: اجمعني ولا تجعلني مفرقًا.

ولذا مَن استخدم الفطرة بغذائها الصحي السديد الصحيح السليم نما وترعرع وقوي وسعد وصعد كما قلت، ومن لم يكن كذلك هو عبد لله بالاضطرار، لكنه ما كان عبدًا لله بالاختيار فهو موزع يهلك في الأودية، يضيع

بين الشعاب والأودية، ولا يعرف له جهة يسير فيها حتىٰ يصل إلىٰ مرادٍ واضح.

المؤمن يعرف (من أين؟ إلىٰ أين؟ كيف؟ لماذا؟)، هذه أسئلة أربعة لا يمكن لأحد أن يجيب عليها إلا صاحب الإيمان.

خذ كل عباقرة الدنيا من غير الوحي، العقل يعرف الوحي ويعرف أن الله حق من غير الوحي، لكن لا يمكن للعقل استقلالًا أن يعرف ماذا يحب هذا الإله.

- الله ماذا يحب؟

- يمكن للعقل أن يدرك أن الله يحب أداء خمس صلوات بشروط معيّنة بعدد ركعات معيّنة؟

غير ممكن.

وفي هذا إشارة إلىٰ ضرورة النُبُوّة للبشر، و النُبُوّة جاءت لا لِتنقطع ولكن لتبقىٰ أثارُها وثمراتُها و أن ينعم الناس بها إلىٰ يوم القيامة.

أخونا فضيلة الشيخ محمد خشان -حفظه الله- تكلم بكلام بديع عن خصائص الإسلام وموانع الاستقرار في عِلم الاجتماع، و ذكر ثلاثه أشياء في موانع استقرار المجتمع فذكر:

الأمر الأول: إهدار القيم الروحية.

الأمر الثاني: الاعتماد علىٰ القوه البدنية وتقديسُها.

الأمر الثالث: التهديد بالحرب .

والذي يُدير الصراع العالمي يدرك هذا.

والناظر في ما يجري في عالم اليوم يجد هذا واضحًا جليًّا.

من المعلوم -وهذا أمر ما ينبغي أن نشك فيه- الإسلام يربح بالحرب أم بالسِّلْم.

- ربحه أكثر في أيِّ الأمرين؟

الجواب: بالسِّلم، الإسلام يربح بالسِّلم أكثر مِن ربحه بالحرب، وصُنع الدمار وإنشاء الحروب ولا سيما أن يكون أُناس يصنعون هذا ويقطعون الرؤوس ويُظهرون البشاعة والشناعة تحت (الكاميرات) والإعلام هذا من أسباب عدم الأمن، ومن أسباب عدم الأمن البُعد عن الإسلام.

الإسلام كلما هدأت النفوس واستقر الوضع وعاش الناس بأمان و عاشوا براحة عرفوا الله ودخلوا الإسلام وعلىٰ وجهٍ قويٍّ جدًّا، وهذا الذي كان موجودًا في أوروبا وفي أمريكا، يدخل كل يوم بالعشرات الإسلام، ويُعلنون التوحيد، إخواننا المسؤولون عن المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا يقولون: كل يوم يأتي من الكفار العشرات يسلمون من غير أن نصنع شيئًا ولكن بعد هذا التدبير قلّ الأمر كثيرًا.

فالإسلام يربح بالاستقرار والسلم.

ولذا؛ استقرار المجتمع من أسباب انتشار الإسلام .

ما تظن أن الجهاد جاء لإراقة الدماء و إنما جاء الجهاد لحِفظ بيضة الإسلام ولإزالة الموانع التي بسببها لا يدخل بعض الناس الإسلام .

ولذا؛ الذي ينادي بالجهاد وبيضة الإسلام ضعيفة وغير قائمة نقول له: ليس هذا وقت المناداة للجهاد.

ينبغي أن نعرف واجب الوقت و ينبغي أن نعرف بماذا نشتغل وأن لا نبقىٰ هكذا ضائعين تائهين لا نعرف ماذا يُراد بنا وكيف يخطِط أعداؤنا .

أُنظر الآن إلىٰ أكبر مجتمع مسلم علىٰ وجه البسيطة أكثر عدد المسلمين في العالم أين؟

أندونيسيا، أندونيسيا فيها قرابة أو ما يزيد عن مئتي مليون مسلم .

- كيف وصل الإسلام لأندونيسيا بالحرب أم بالسلم؟

- من الذي فتح أندونيسيا ؟

أخلاق أسلافكم، أخلاق التُجار، أخلاق التجار في أندونيسيا وإحسانهم للناس هم سبب إسلام أهل أندونيسيا.

فالإسلام يكسب كما قلت بالسِّلم أكثر من كسبِه بالحرب.

النقطة الثانية تكلم عليها غير أخ من إخواننا، وركز عليها فضيلة الشيخ محمد خشان لما قال: الإسلام صالح ومصلح لكل زمان ومكان، تكلم عن شمول

النص وأن الإسلام يشمل كل مصالح العباد، كلام جميل، الشعار أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ومصلح لكل زمان ومكان، شعار بديع، لكن تفصيل ما يلزمنا من معرفة الإسلام وتفصيل الحلول للمشاكل الواقعة في الأمة.

- من الذي يعرفها؟

العلماء.

لو سألنا فقلنا: الإسلام صالح لكل زمان ومكان، كيف يكون الإسلام صالح لكل زمان ومكان؟

- لو ذكرنا بعض المشاكل وأردنا حلولًا من الإسلام من الذي يقدر على هذا؟

العلماء، لذا كانت حاجة الأمة للعلماء أشد من حاجتهم إلى الماء والهواء كما قال الإمام أحمد بن حنبل، ولذا كان العلماء أولياء أمور الناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء:٥٩].

- من هم أولياء الامور؟

أولياء الأمور قسمان:

١ - ملوك وأمراء قائمون على دنيا الناس فهم أولياء أمورهم.

٢ - علماء قائمون على إصلاح دين الناس.

والبخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وجمعٌ من الصحابه منهم أبو هريرة و جابر وغيرهم

يقولون: أولياء أمور الناس: العلماء والأمراء. ولذا الإسلام صالح لكل زمان ومكان في الحقيقة هذا ديدنُ وهجِّيرُ من اتخذ دين الوحي شعارًا له يركز عليه ويقول: أن الشريعة غنية شاملة فيها الحاجة ولكن لا يقدر علىٰ إبراز هذا إلا من وفقه الله، إلا من كان متبحرًا في كيفية نزع المسائل من الأدلة: بجميع دلالاتها: دلالة المنطوق والصريح ودلالة المعنىٰ (الفحوىٰ) ودلالة الإيماء ودلالة الإشارة وكذلك بالتقسيم والتنويع وإلحاق الشبيه بالشبيه مع المواءمة بين اللفظ والمعنىٰ، وإتقان إعمال الفارق وإلغائه، وإياك أن تظن أنه لكل حادثة ونازلة تحدث إلىٰ يوم الدين يوجد نص بها، وإياك أن تردد مع علماء الكلام أن حوادث الناس لا تنتهي ولا تعد ولا تحصر، والنصوص الشرعية معدودة محصورة، فقالوا فكيف يغني المحصور المعدود عن غير المحصور غير المعدود هذا خطأ، والصواب أن تقول: هذا كلام الله لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، الذي نزله يعلم ما كان وما هو حاصل الآن وما سيكون إلىٰ يوم القيامة وأنزل الله تعالىٰ في وحيه بالدلالات المعتبرة المعمول بها في الشريعة ما يكفيهم وما يغنيهم، ويشمل حاجاتهم إلىٰ يوم الدين.

نشرح آيات سورة المائدة -مثلًا- بإيجاز شديد جدًّا، ونبدأ بذِكر أقسام تمتع الرجال بالنساء في سورة المائدة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾[المائدة:٥]، فجعل الله أسباب التمتع ثلاثة:

السبب الأول: العقد علىٰ المحصنة المؤمنة والكتابية؛ أي: يدخل في حصن الزواج ليحصن نفسه من الزنا.

السبب الثاني: من غير عقد، لكنه غير مسافح -غير مجاهر بالزنا-.

السبب الثالث: غير متخذين أخدان، واتخاذ الأخدان الزنا بالسر، أن يكون لك خدين، كما قال تعالىٰ في النساء: ﴿مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾، عندك خدين فقط لا تزني إلا به من غير إيتاء الأجور ومن غير العقد الشرعي.

الآن انظر أنواع النكاح الموجودة اليوم، المسيار، والمسفار، نكاح السر، وسمِّ... مذكورة في القرآن، واحدة من ثلاثة، إما عقد، إما تمتع بنساء بزنا ظاهر، والقسم الثالث تمتع من غير زواج ولكن بسر.

كل الأصناف في التنويع موجودة، خذ السنة النبوية، حالات السهو في الصلاة، حالات السهو في الصلاة لا تنتهي، يقول لي بعض الأئمة: وأنا طالع علىٰ درج المسجد لأصلِّي بالناس إمامًا، عملت معركة وزوجتي، صرخت عليها وصرخت علي وسببتها وسبتني، طلعت غضبان أصلي العصر، صليت في الناس (١٦) ركعة، كل ما أقوم أجلس أقوم أجلس حتىٰ انتهت الصلاة، مثل هذا ماذا يعمل بسجود السهو، كيف يسجد؟

النبي ﷺ في حالات سجود السهو حصر الأنواع، وكل نوع من أنواع السهو المحتمل إلىٰ يوم الدين داخلة تحت الأنواع أربعة، فالشرع جاء فيه الغُنيَة وجاء فيه الكفاية، التفصيل في هذا للعلماء، والتفصيل لمثل هذا يكون بحضور دروس العلم، ليس لمثل هذه الندوات.

فالشاهد أن الشرع جاء مصلحًا صالحًا لكل زمان ومكان كلام صحيح،

لكن نحن نمتاز عن غيرنا أن غيرنا يصف الإسلام العظيم من الخارج وأما نحن فندخل في داخل العِمارة، ونعرف محاسن الإسلام من الداخل، ونطلب العلم، ونعكُف ونتعب ونحن في طلب العلم، ونجهد أن نعرف أسرار الإسلام وأحكام الإسلام فالإسلام صالح: صحيح! لكن لا بد من تفصيل ولا بد من علماء، ولا يمكن للأمة أن تقوم بتقليد ولا بمذهبية، لذا الغرب يوصون بالتقليد ويوصون بالمذهبية، لا يريدون الإسلام قائمًا.

حاجات البشر ليست عند إمام، وليس هذا تنقيصًا لإمام؛ لأن حاجات البشر عند الله، والله هو الذي يعلم ما كان وما هو حاضر وما سيكون، والعالم مهما بلغ لا يعلم إلا ما هو في محيطه، أما أن يعلم المستقبل، فليس كذلك.

ولذا من الوصايا: اتبعوا إمامًا واحدًا، وعندما تتبع إمامًا واحدًا يسهُل جدًّا يبدأ الانحراف، وأئمتنا الكبار، ولا سيِّما الأئمة الأربعة المتبوعين، من الأئمة الربانيين وممن نحبهم حبًّا جمًّا حبنا إياهم حبٌّ شرعي، لا عاطفي، والذي لا يقلد إلا واحدًا منهم يحبه حبًّا عاطفيًّا لا شرعيًّا.

واحد يأخذ ويتخير من الأئمة الأربعة، وواحد يأخذ من واحد ويهدر الثلاثة، ماذا يحب هذا فيهم؟

هذا يحب فلانًا حبًّا شخصيًّا وليس حبًّا شرعيًّا، فهذا أمر مهم جدًّا.

النقطة الثالثة: تعود علىٰ مسألة سبق أن قلناها، لما ذكر إنه كان ظلومًا جهولًا، آية مهمة جدًّا، والآية لها سياق وسباق مهم، قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّا

عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا . لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الأحزاب:٧٢-٧٣].

ذكر الله -عز وجل- آية حمل الأمانة وقسم الناس ثلاثة أقسام من حيث التقسيم المِلِّي، ثلاثة أقسام لا رابع لها، القسم الأول: من حمل الأمانة في الظاهر دون الباطن، وهم المنافقون والمنافقات.

القسم الثاني: من رد الأمانة بالظاهر والباطن وهم المشركون والمشركات.

القسم الثالث: من حمل الأمانة لكنها ثقيلة.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾.

- لماذا قال الله: ﴿وَيَتُوبَ ﴾؟

لأن المقصرين والعصاة من أمة محمد يعاملون ضمن المؤمنين، وليسوا فريقًا مستقلًّا، فهم في دائرة الإيمان العامة، فالمعصية -وإنْ كانت كبيرة- لا تُخرِج صاحبها عن الإسلام، ما لم يستحل ذلك.

- يعني العاصي من أي الأقسام ؟

منافق، مشرك، مؤمن، وليس العاصي المقصر بمنافق أو مشرك ولا هو بمنزلة بين المنزلتين كما يقول المعتزلة، ولا هو كافر كما يقول الخوارج، إنما هو في دائرة الإيمان.

لذا؛ العصاة من أمة محمد ﷺ لهم الجنة لما معهم من الإيمان، ولذا هذا

الإنسان العاصي حمل الأمانة وهو ضمن الفطرة وفطرته قبلت واستعدت وإن قصر في شيء من هذا الأمر، ولم يستجب لامتثال بعض الأوامر.

الأمر الأخير وهو الكلام المهم حول الوسطية، الوسطية خص الله أمة محمد ﷺ بها، ولذا كان الإسلام دين الله الخالد ولا يوجد دين بعد الإسلام، بعد دين محمد ﷺ الذي أوحاه الله لنبيه ﷺ، ومن هنا تدرك أن الله جل في علاه لما ذكر التوراة قال عنها لما ذكر الأحبار والرهبان ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة:٤٤]، ولما ذكر الله تعالىٰ القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩] يعني الكفار مهما يحرفون القرآن يظهر عوارهم.

يذكر تقي الدين الهلالي لما احتلت إسبانيا شمال المغرب واحتلت فرنسا وسط المغرب وجنوبه قال: إسبانيا طبعوا مصحفًا وحرفوا فيه كلمة في سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩] أسقطوا كلمة ﴿مِنكُمْ﴾ فطبعوا القرآن من غير ﴿مِنكُمْ﴾ فيقول الهلالي: فجاءني ولد صغير حافظ القرآن أتاني بالمصحف فقال: لا يوجد ﴿مِنكُمْ﴾ في الآية؟ ولم نوزع المصحف بعد، قال: كلمة ﴿مِنكُمْ﴾ غير موجودة، الله الحافظ لكن خلق الله أناسًا طوالًا همُّهم للقرآن ولذا القرآن يجب متىٰ نزع من السطور أن نجمعه من الصدور فالواجب في القرآن أن يحفظ في الصدور وأن يحفظ في السطور، فإذا فقدناه من السطور نجمعه من صدور الرجال، وهذه سنة لله عز وجل لا تتخلف أبدًا.

ولذا الوسطية في الدين هي سر بقاء الإسلام وانتصاره، ولا يثبت أبدًا من

لم يمتاز بالوسطية ؛ المتنطعون والغلاة والمتشددون ليس في سنة الله لهم بقاء، لابد أن يموتوا، كل فرقة عندهم غلو وعندهم شدة لن يبقوا، لذا قال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة:١٤٣] نحن أمة وسط، ومن غير الوسطية لا يمكن أن نبقىٰ أبدًا .

أما أخونا الشيخ حمزة المجالي -غفر الله لي وله، وغفر الله للجميع- أيضًا تكلم بما قلناه، واستدل بقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣]، الآية حقيقة فيها لفتة.

عندما تنظر في الآية بتدبر لعله يتبادر إلىٰ ذهنك أنها: اليوم أكملت لكم ديني، لا، ليست الآية هكذا، إنما هي ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، ثم انظر لعله يتبادر لك أنها: وأتممت عليكم نعمتكم؛ لا إنَّما هي: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾.

الدين نعمة، النعمة الله -عز وجل- أضافها لنفسه، وأضاف الدين إلينا، لنكون حرسًا عليه، ولنحفظه.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ﴾ [المائدة:٣]، وقال تعالىٰ بعدها ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [المائدة:٥]، وقال تعالىٰ بعدها: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [المائدة:٥]، آية جمعت بين نعيم الدنيا ونعيم الأخرة، وبعدها مباشرة قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾[المائدة:٦].

أكلت وشربت وتنعمت وتمتعت، ونعيم الدنيا كمُلَ لك، تحتاج إلىٰ نعيم الآخرة، إلىٰ المتعة في الصلاة، وغالبًا إما تحتاج لغسل أو تحتاج لوضوء، فجاء بعدها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ النعمة تامة، نعمة الله تمت علينا في الدين والدنيا، ولذا الله -عز وجل- قال: ﴿دِينِكُمْ﴾ الذي لاتتحقق لكم النعمة إلا به.

يوجد طعام فاسد للنساء، العهر والزنا، وهو شعار الغرب، ويوجد طعام فاسد للأبدان وهو الخنزير والخمر وماشابه، ويوجد طعام فاسد للأرواح، وهو البدع والخرافات، وكل الأطعمة المادية والمعنوية التي ذكرها الله تعالىٰ كلها تمتاز بالطيبات.

- ماذا تحتاج هذه؟

ما أجمل أن تتدبر قول الله تعالىٰ في الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، لم يقل ديني، ويقول: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾[المائدة:٣]، فالنعمة تامة، وهي نعمة من الله -عز وجل-.

ولذا؛ من ظن أن له مصلحة في الخروج عن أمر المولىٰ إلىٰ داعي الهوىٰ، فهذه مصلحة موهومة وليست بصحيحة.

وآن لنا أن نفهم أن النواهي في الشريعة ليست لوائح حرمان، وأن النواهي في الشريعة إنما جاءت من أجلنا، ومن أجل تحقيق مصالحنا.

والله -تعالىٰ- أعلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

جزىٰ اللهُ -تعالىٰ- خيرًا فضيلةَ الشيخِ عَلَىٰ كلمتِهِ خيرَ ما جزىٰ عالمًا عن أمَّتِهِ، وأسألُهُ -سبحانهُ- أن يحفظ شيخنا وسائر مشايخنا والحاضرين، وأن يتقبل من أصحاب الفضيلة المشايخ ما بذلوه في خدمة الإسلام والذَّب عن حياضه في توضيح صورته النقيَّة البهيَّة، وبيانِ مكانَتِهِ العَلِيَّة، وَرِسَالَتِهِ الإنسانيَّةِ العَالميَّة، وَدَفْعِ مَا اعْتَرَاهُ مِنْ شُبَهٍ غَوِيَّة، رَاجِينَ من الله العَلِيِّ الغَفَّارِ أَنْ يُصَيِّرَ ذَلِكَ شَهَادَةً لَنَا أَجْمَعِينَ، نَرْقَىٰ بِهَا سُلَّمَ الرِضْوَانِ، يَفُوحُ عَبِيرُهَا فِي يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتىٰ الله -جل وعلا- بقلبٍ سليمٍ .

تَمَّ الخِتامُ وربُّنا المحمودُ وَلَهُ المكارِمُ والعُلَا والجُودُ

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمين.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُم ورحمةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع الصفحة

افتتاحية الندوة - محمد بن فيصل قاسم ٥

المحور الأول: رحمة الله لعباده بالدين الحق - عبد الرحمن بن موسىٰ آل نصر..... ١١

المحور الثاني: خصائص الإسلام ومناقب الدين - محمد بن يوسف خشان ٢٧

المحور الثالث: مراعاة الإسلام للقيم الإنسانية - حمزة بن ماجد المجالي..... ٤٧

المحور الرابع: أثر الإسلام على الأفراد والأمم-عبد الباسط بن يوسف الغريب... ٧٥

تعليق وتعقيب الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ١٣١

الخاتمة ١٥٥

فهرس الموضوعات..... ١٥٧